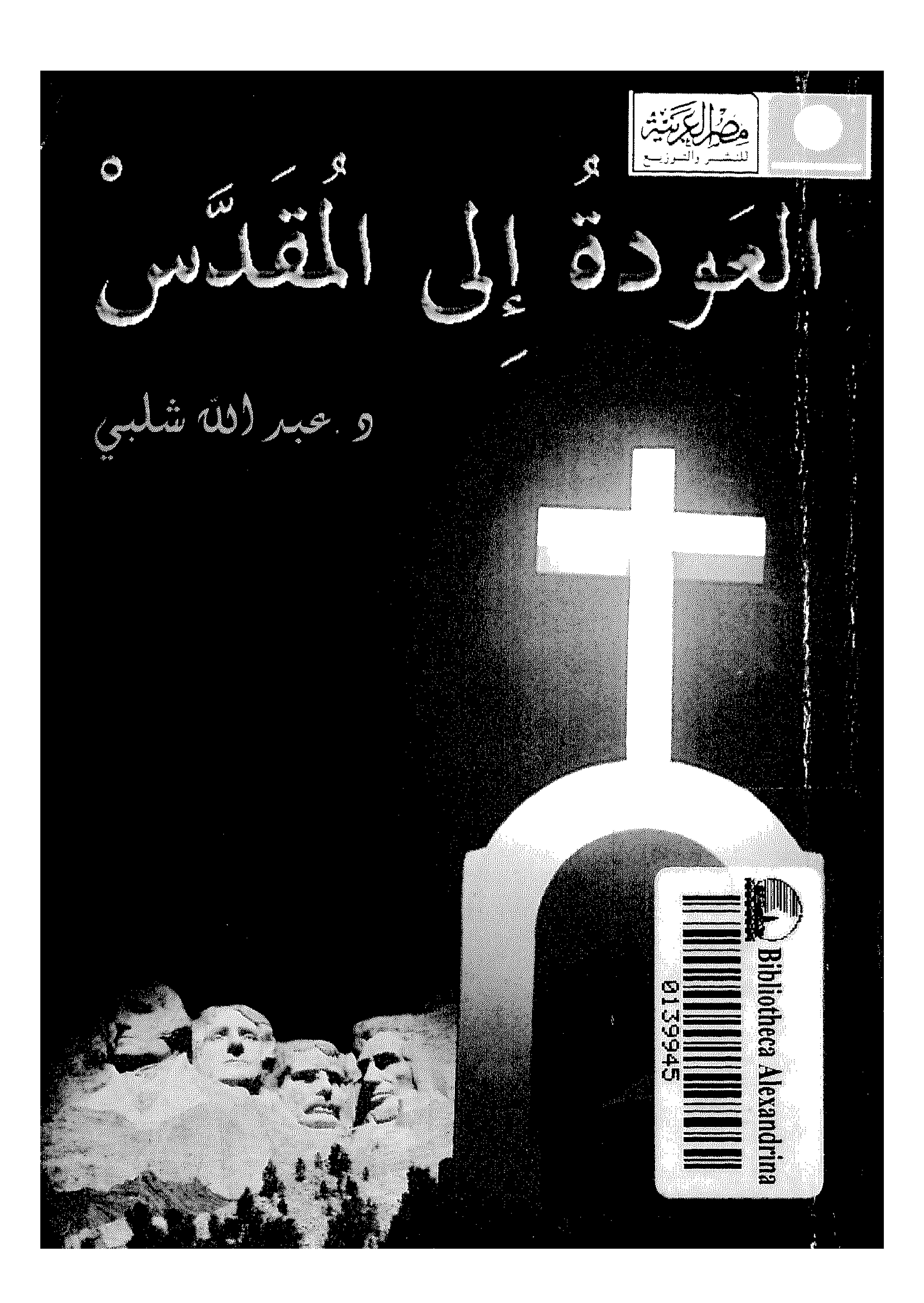

مصر العربية
للنشر والتوزيع
العودة إلى المقدس
د. عبد الله شلبي

العودة إلى المقدس

صعود الأصولية المسيحية السياسية في المجتمع
الأمريكي خلال الربع الأخير من القرن العشرين.

د. عبد الله شلبي
مدرس علم الاجتماع – كلية التربية
جامعة عين شمس

٢٠٠٠م
مصر العربية للنشر والتوزيع
١٩ (١٣أ سابقاً) ش إسلام. حمامات القبة
القاهرة

- العودة إلى المقدس

- د. عبد الله شلبي

- الناشر: مصر العربية للنشر والتوزيع
١٩(١٣أ سابقاً) ش إسلام
حمامات القبة
القاهرة
ت وفاكس: ٣٥٦٢٣٣٦٨

- الطبعة الأولى ٢٠٠٠

- رقم الإيداع: ١٣٥٢٢ / ٩٩

- الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977 - 5471 -27 -3

الفهرس

أولاً: مقدمة:

منذ نهاية القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت توقعات مفكري عصر التنوير تشير إلى زوال الدين واختفائه في القرن العشرين. وتأسس هذا الاعتقاد على تصاعد وتأكيد الإيمان بسلطة العقل وقوته. وبدءاً من نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين توقع المفكرون السوسيولوجيون، على اختلاف اتجاهاتهم أيضاً، اختفاء الدين في البدايات الأولى للقرن الحادي والعشرين، فمع تقدم العلم والتكنولوجيا يكف الإنسان، في رأيهم، عن الاعتقاد في القوى الغيبية، في الأرواح والشياطين، ويفقد الإحساس بالنبوة، وفوق ذلك كله يفقد إحساسه بما هو مقدس، وتصبح العلمنة SECULARIZATION كمعتقد وأسلوب للحياة، هي الاتجاه الأكثر غلبة وقوة، فحياة البشر أصبح يهيمن عليها، وبشكل مطرد، التخطيط العقلاني والإجراءات التكنولوجية. وبعد أن كان الدين قوة اجتماعية تعلم البشر، ليس فقط الطقوس والمعتقدات، وإنما تعلمهم أيضاً الحقائق الخالدة لنظام الحياة والكون بأسره، أصبحت الدلائل في العصر الحديث تشير إلى اضمحلال الإيمان بالقوى المجاوزة للطبيعة، وإلى زوال الاعتقاد بأن تلك القوى يمكن أن يكون لها تأثير على الحياة اليومية للبشر (١).

وعلى الضد من ذلك الاستشراف الذي قام به مفكرو التنوير والقرن التاسع عشر، والمرتبط بزوال الدين وعجزه عن القيام بدور فعال في المجتمع

الحديث والمعاصر، نجد أن السنوات الأخيرة من القرن الحالي قد سجلت عودة الدين وبقوة في المجتمعات كافة وعلى تباين مستويات تطورها، وتباين أنظمتها الاقتصادية الاجتماعية، وتؤكد البحوث التي أجريت على البلدان المتقدمة التواجد الديني الواضح على امتداد الفضاء الاجتماعي في كليته وشموله، خلال الربع الأخير من القرن العشرين وهي الظاهرة التي أطلق عليها في المجتمعات الغربية عودة المقدس SCARED ، وعودة الآلهة، والإحياء أو الانبعاث الديني (٢). وأصبحت العلاقة بين الدين والحياة العامة على تنوع وتعدد مستويات وجودها وأوجهها خلال السنوات الأخيرة أحد الموضوعات المهمة التي عكفت على دراستها أقسام علوم الاجتماع والسياسة في الجامعات ومراكز البحوث، كما أصبحت أيضا موضع الاهتمام من المؤتمرات والندوات على كافة الأصعدة الدولية. وكان ذلك مردودا إلى تزايد الدور الذي ينهض به الدين ومؤسساته الرسمية وغير الرسمية في الحياة العامة وفي مجال السياسة في دول العالم كافة.

وليس ثمة شك في أن هذا الاهتمام الآخذ في التزايد بالظاهرة الدينية مثل انقلابا على تاريخ طويل من الإهمال والتجاهل والتغافل أحيانا، وهو موقف نبع من تصور مؤداه أن التحديث ونواتجه، وانتشار الديموقراطية كان من شأنه التقليل من محورية الدين في الحياة العامة وتضاؤل تأثيره في حياة المجتمعات في شرق العالم وغربه. وقد لعب الصراع الأيديولوجي بين الاشتراكية والرأسمالية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، دورا أساسيا في ترسيخ الاعتقاد بأن المعركة العقائدية والأيديولوجية بالأساس على مسرح السياسة والاجتماع الإنساني أصبحت تدور بين مدارس علمانية، وأن الأطر الفكرية الأخرى عامة والدينية على وجه الخصوص قد تلاشت واضمحلت. إلا أنه ومع بداية الربع الأخير من نهاية الألفية الميلادية الثانية، بدا أن ما تواضع عليه الفكر الاجتماعي والسياسي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، لم يعد له ما يبرره

وذلك مع تزايد التعبيرات المختلفة عن تصاعد دور الدين ليس فقط داخل كل دولة على حده، وإنما أيضاً في مجال العلاقات بين الأمم والشعوب.

وعلى الرغم من تنوع وتعقد الظاهرة الدينية المعاصرة، إلا أن مناط الدرس والاهتمام البحثي تركز فقط على جانب واحد بعينه وهو الجانب الذي جرى التعارف على تسميته بالأصولية الدينية وقد مثل هذا التركيز انحرافاً في فهم ظاهرة بالغة التعقيد والتنوع كان لها جوانبها المؤسسية المتمثلة في الدور المتزايد للكنيسة الاثوليكية في روما والتي أصبحت تسهم بدرجة كبيرة في تشكيل الفكر الإنساني بشأن القضايا الأخلاقية والاجتماعية كما كان للظاهرة الدينية المعاصرة أيضاً جوانبها السياسية التي ظهرت في أشكال تقدمية من خلال ما سمي بلاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية، وبأشكال محافظة بل ورجعية في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تمثلت في دعم الحزب الجمهوري الأمريكي ودفعه في اتجاه أكثر يمينية عما كان عليه من قبل.

وفي عبارة موجزة يمكن القول بأن الدين بكل أشكال وجوده الروحية والثقافية والمؤسسية وبكل مستويات هذا الوجود، قد أصبح فاعلاً مهماً في الحياة العامة للمجتمعات الإنسانية كافة، بل وفي تقرير الحياة داخل هذه المجتمعات بشكل عام، وفي وضع أنساق القيم الضابطة والموجهة بشكل عام.

ونحاول هنا أن نقدم مناقشة لمفهوم الأصولية الدينية السياسية كحركة اجتماعية سياسية ذات شكل ديني، ثم نرصد عددا من الظواهر التى شكلت في مجموعها مؤشرات لما أطلق عليه الإحياء الديني أو عودة المقدس في المجتمعات الغربية وبصفة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية منذ بداية الربع الأخير من القرن العشرين، على أن يسبق هذا استحضار سريع وموجز لتاريخية العلاقة بين الديني والسياسي في تلك المجتمعات والتحولات التي طرأت على هذه العلاقة، نعمد بعد ذلك لبيان السياق البنائي والفكري للأصولية المسيحية داخل المجتمع الأمريكي، وأخيرا نقدم وصفا، على مستوى الفكر

والممارسة، لواحد من التيارات القوية والفاعلة في الحركة الأصولية المسـيحية السياسية في المجتمع الأمريكي.

أولاً: الأصولية الدينية كحركة اجتماعية سياسية: محاولة لضبط

المفهوم وتعيين حدود الظاهرة:

تتسم البحوث والدراسات التي تصدت لبحث ظاهرة الانبعاث الديني المعاصر بعامة، والإسلامي بالتخصيص، بتعدد المصطلحات والمفاهيم التي تعبر عن جوهر الظاهرة السياسية الدينية المعاصرة. وهي تعددية مردودة إلى تباين المواقف السياسية والاجتماعية ومن ثم اختلاف الرؤى النظرية لأصحاب هذه البحوث والدراسات. أننا منذ بداية الربع الأخير من القرن الحالي يمكن أن نرصد في كل المجتمعات تقريبا على اختلاف مستويات تطورها وتباين أنظمتها الاقتصادية الاجتماعية، انتعاشاً للحركات الدينية لمختلف الأديان، وقد اتخذت هذه الظاهرة أشكالاً ومستويات مختلفة على الأصعدة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والنفسية.

ولقد سعت تلك البحوث والدراسات في وصفها للحركات والفاعليات المتنوعة التي تعبر عن الظاهرة الدينية المعاصرة إلى الاستعانة بالعديد من المصطلحات والمفاهيم كفئات تحليلية تصف الظاهرة وتجلياتها، فاستخدمت صيغاً عديدة مثل: الإحياء الديني RELIGOUS REVIVAL ، والانبعاث الديني RELIGIOUS RESURGENCE ، والتجديد الديني RELIGIOUS RENEWAL، والصحوة واليقظة الدينية AWAKENING والإتمامية للإشارة إلى تبني القول بتمام نظام الدين ليشمل الدين والمجتمع معاً وعدم فصل الدين عن الدولة، والأصولية الدينية RELIGIOUS FUNDAMENTALISM والأصولية الدينية الجديدة NEW-RELIGIOUS FUNDAMENTATLISM . كما أشارت دراسات أخرى إلى ما يسمي بعودة الدين RETERUN OF RELIGION

ودين الجماهير أو المحكومين في مقابل دين الصفوة أو الحكام، أو الدين من أعلى RELIGION FROM ABOVE للإشارة إلى العودة للدين من قبل الحكومات والطبقات الحاكمة، والدين من تحت أو من أسفل BELOW للإشارة إلى الجماعات المنشقة والمعارضة التي تتبنى المقولات الدينية في صراعها وتمردها على النظم القائمة في مجتمعاتها كما شاعت في كتابات أخرى مصطلحات العنف الديني والتطرف الديني RELIGIOUS VIOLENCE - EXTREMISM. والجماعات المتطرفة (٣).

وفي تقديري أن جانبا كبيرا من هذه المفاهيم من شأنه أن يضفي نوعا من التعتيم على جوهر الظاهرة موضوع البحث. ذلك أن وصف الظاهرة الدينية المعاصرة بأنها يقظة أو إحياء أو العودة إلى الدين، يوحي بأن الدين كان نائما فتنبه، أو ميتا فاسترجع الحياة، أو أن أصحاب الأديان قد اغتربوا عن دياناتهم وتركوها لحين من الدهر ثم تنبهوا إليها. إن تعبيرات الإحياء، اليقظة، الانبعاث في تقديري هي تعبيرات مجازية وتذكرنا بتسمية أخرى جرت عند المسلمين والعرب على وجهة الخصوص في أوائل القرن التاسع عشر تقريبا وأعني بها تعبير النهضة RENAISSANCE ، حين وجدوا أنفسهم بأوضاعهم الانحطاطية وفكرهم الغيبي أمام تحد حاد جدا من قبل الحضارة الأوروبية الصناعية المتقدمة المتسلحة بالفكر العلمي والعلم الحديث، ونحن نجد هذه التعبيرات الإحياء واليقظة ، ترد كثيرا في الكتب المدرسية والجامعية التي تتناول تاريخ المسلمين والعرب من خلال تقسيم هذا التاريخ إلى عصر ذهبي وعصور انحطاط، ولابد بعد الانحطاط من أن تؤول كل حركة في المجتمع وكأنها يقظة وإحياء ورجوع إلى العصر الذهبي، والازدهار الإسلامي الأول. كما أن توصيف الظاهرة على هذا النحو ينطوي على استغلال أيديولوجي يسعى أصحابه إلى تجنيد قيم الأديان ضد الأيديولوجيات السياسية

الفاعلة في حركة الطبقات المقهورة ودفعها إلى الثورة، وهي أيديولوجيات توسم بأنها مادية وإلحادية خاصة في المجتمعات التي تسودها تعاليم الكتب الدينية المنزلة (٤).

نحن بحاجة إلى تحديد دقيق لشروط الإحياء والنهضة حتى يمكننا بعد ذلك أن نقيس عليه الفكريات والممارسات التي تشكل في مجملها الظاهرة الدينية المعاصرة لنحكم بعدها ما إذا كانت تعد نهضة وإحياء أم لا؟، وما إذا كانت هذه المفاهيم تصلح بالفعل كفئات تحليلية لوصف هذه الظاهرة أم لا؟.

في مؤلفه "ما هي النهضة" يقول سلامة موسى (٥) إن النهضة يجب أن تتجه إلى المستقبل إن أرادت أن تكون أصيلة، لقد انطلقت في أيامنا حيوية جديدة في بلادنا تجدد القيم والأوزان في معاني الحياة والاجتماع والرقي، ولكننا لا نزال في اختلاط وارتباك وتردد لا نعرف هل نأخذ بالقيم القديمة أم القيم الجديدة، فما هي النهضة؟ هي القيم القديمة؟، إن أسوأ ما نخشاه أن ننتصر على المستعمرين ونطردهم، وأن ننتصر على المستغلين ونخضعهم ثم نعجز عن أن نهزم القرون الوسطى في حياتنا ونعود إلى دعوة "عودوا إلى القدماء". ويرى بسام طيبي (٨) أنه منذ منتصف القرن المنصرم وحتى يومنا هذا وجد كل مفكرينا أنفسهم في مواجهة سؤال مصيري: هل يعني الرد على التحدي الحضاري الغربي العودة إلى الوراء، أم البحث عن مستقبل جديد يخرج بنا من أوضاعنا المؤلمة الحالية؟ واختلفت الأجوبة، ولكن الاتجاه السائد كان يقول بالعودة إلى تراث الأجداد بحيث أن النهضة العربية كانت تتألف من إحياء التراث القديم والعناية به، وغلب عليها الطابع الدفاعي أمام الغزو الإمبريالي، وهذا الدفاع أخذ أحياناً أشكالاً لاعقلانية منها نفض الغبار عن حضارة الأجداد للتباهي بها أمام الحضارة الإمبريالية الغربية، بأن المسلمين والعرب كان لهم أيضاً ماضي مجيد، في حين أن المطلوب هو الثورة على الماضي الذي كان

مجيداً، ولأن ذكراه لم تعد تفيد في الرد على التحدي الإمبريالي، ولأن التفكير في المستقبل عن طريق النضال من أجل هذا المستقبل هو الكفيل وحده بالتحرر. ومن ثم فإن نهضتنا كانت إجمالاً ترقد على أمجاد الماضي ولم تتجه إلى المستقبل، وغاب عن أولئك الرواد الذين نادوا بالعودة إلى تراث الأجداد إدراك أن تجليات القوة والحضارة الأوربية إنما كانت تستند إلى موقف نقدي من الدين والسلطة بلغ حد القطيعة مع القاعدة الدينية والتنوير الأوروبي.

ونجد أيضاً أن مفهوم الإحياء والانبعاث الديني وعلى الرغم من تعبير إحياء وانبعاث. REVIVAL - RESURGENCE ، إلا أنه ينطوي على نزعة نكوصية أو انتكاسية تسعى في محصلتها النهائية إلى استبعاد كافة الثقافات المغايرة، والعودة إلى الأصول الثقافية وتوطيد العلاقة والصلة بالماضي مما يوحي بالرغبة في تأسيس ما يمكن أن نسميه جيتو GETTO ثقافي في عالم يمكن تعريفه بأنه مجتمع عالمي بحكم تداخل تركيباته وكثافة الاتصالات والمواصلات التي تربط بين أمم اليوم وتحولها إلى قرية صغيرة، وبحيث يصبح المطلب الأساسي في الإحياء والانبعاث ليس الانعزال والتشرنق داخل الثقافة الوطنية وإنما تكييف هذه الثقافي لعصر العلم والتكنولوجيا في إطار المجتمع الدولي، انطلاقاً من نظرة تؤمن بوحدة الحضارة الإنسانية عالميتها وتنوع ثقافات البشر.

وفي ضوء هذه التصورات فإن الإحياء REVIVAL يشترط المشاركة في إيقاظ حساسيات جديدة في الإبداع الفكري والعملي يكون من شأنه دعم تطور الحياة الإنسانية ودفعها إلى المستقبل وليس النكوص والارتداد إلى مراحل من التاريخ السحيق، كما يتطلب أيضاً بناء جسور متقدمة لمشروع حضاري يبدأ من أرقى المستويات المعرفية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي بلغتها الإنسانية بحكم أنها نتاج الإنسانية ككل وتراكم الجهد

الإنساني ومن حق كل أمة أن تأخذ منها وأن تضيف إليها في ضوء تجربتها الخاصة، بمقتضى أن البشر جميعهم شركاء أصليون في بناء صرح الحضارة الإنسانية الحديثة من دون استعلاء أو إحساس بالدونية، كما أن الإحياء المطلوب يجب أن يسعى إلى تأسيس قيم جديدة في مجال العلاقات الاجتماعية بين البشر تدعم إمكانات تحررهم، وتطلق العنان لإبداعاتهم، وتضمن مشاركتهم بفاعلية وإيجابية في صياغة شكل الحياة في مجتمعاتهم، وليس قهرهم بزعم قدسية تراثهم وعجزهم عن التشريع لأمور دنياهم. إن مناقشتنا السابقة لمعاني النهضة والإحياء تكشف عن أن استخدامهما لوصف الظاهرة الدينية المعاصرة يعد استخداماً غير ملائم.

ويعد استخدام تعبر البديل ALTERNATIVE استخداماً غير ملائم لوصف الأطروحات التي تقدمها الجماعات والتنظيمات الدينية السياسية الإسلامية أو المسيحية أو اليهودية على المستوى الرسمي، أو مستوى جماعات المعارضة باسم الدين. ذلك أن جميع البدائل الممكنة والمتاحة والتي تتباين مضامينها الاقتصادية الاجتماعية يمكن أن ترتدي ثياباً إسلامية أو مسيحية أو يهودية بمعنى أنه ليس هناك بديل إسلامي أو مسيحي أو يهودي وحيد، وإنما توجد بدائل متعددة بتعدد تأويلات الدين الواحد والتي يمكن النظر غليها باعتبارها أشكال تعبير ديني عن تعدد القوى الاجتماعية المتصارعة واختلاف مواقعها. ومن الطبيعي في ظل شروط تاريخية محددة أن يأخذ الصراع الاجتماعي بين هذه القوى الاجتماعية مجرى الصراع الديني، أو أن يظهر في شكله. ولكن يبقى حقل الصراع ومجاله في الأساس اجتماعياً طبقياً رغم هذا الشكل الديني. ولذا فإن الاختلاف بين هذه البدائل لا نجد تفسيره في الدين ذاته كدين، وإنما في الشروط المادية الاجتماعية الخاصة بحركة الصراع الطبقي داخل المجتمع.

إن الأساس في الظاهرة الدينية التي أخذت في الصعود والتنامي منذ بداية الربع الأخير من القرن العشرين، هو الدعوة إلى معالجة المسائل المعاصرة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . عبر سفر تراجعي في التاريخ من خلال العودة إلى مصادر الإيمان والاعتقاد الخالص من كل التحريفات والتأويلات والعودة إلى ما أنتجه السلف وخلفوه لنا من قيم وأفكار وممارسات ونظم، ولذا فإن تعبير الأصولية الدينية السياسية POLITICAL-RELIGIOUS FUNDAMENTALISM يعد تعبيراً ملائماً لوصف هذه الظاهرة. ولكن لما كانت أي دعوة للعودة عبر الزمان هي بالطبع مستحيلة، بل ومثيرة للسخرية، هذا ما لم نجتر ذكريات الماضي، أو نركب آلة الزمان الأسطورية العجيبة، فإننا يجب أن نبحث عن المصالح الكامنة وراء هذه الدعاوى، ليس في مجال الدين، والادعاء بأن ما يحدث هو مجرد تدين، أو جرعات زائدة من التدين أو أن الناس كانوا قد نسوا دينهم ثم عادوا إليه وتمسكوا به. إن المسألة الأساسية هي أن الظرف الاجتماعي الراهن يحتاج إلى استخدام الشكل الديني في تحركه وتفاعلاته، وبالتالي فإن البحث ينبغي أن يتوجه مباشرة إلى مجمل الشروط المادية التي أفرزت المناخ الملائم لنشأة ونمو دعاوى العودة إلى الأصول . FUNDAMENTALS

ويعد مفهوم الحركة الأصولية الدينية السياسية مفهوماً ملائماً من وجهة نظري لأنه يؤكد على البعد الاجتماعي السياسي لدعوة العودة إلى الأصول أكثر من بعدها أو جانبها الديني، ويعني هذا أيضاً أننا حين نتصدى لدراسة ظاهرة الأصولية الدينية السياسية فإننا نكون بصدد موقف اجتماعي وسياسي بالضرورة، وهذا الموقف مصحوب بحالة من التعبئة السياسية باسم الدين على المستوى الفكري والنفسي، وهذه الحالة تضع صاحبها في إطار النصوص الدينية وتنتهي به طائعاً مختاراً إلى التنازل عن إرادته الخاصة ومواقفه وآرائه

لحساب النص الديني أو من يلوحون به. فالنص يصنع الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ... ويصوغه، والنص الديني هو الحقيقة الأولى، وإذا تعارض الواقع مع النص الديني فالنص صحيح لأنه يجب أن يكون صحيحاً والواقع خاطئ. ذلك أن النص الديني يمثل الإجابة النهائية التي تتجاوز الأسئلة الخاصة التي كان يطرحها الواقع وقت نزول النص الديني، وبالتالي، وبعد انقطاع الوحي، أقفل باب تجديد النص أو الجواب لأنه الجواب أو النص نهائي، وقد نطق به الوحي مرة واحدة وإلى الأبد، ومن ثم أصبح للجواب أو النص الديني السلطة المطلقة على الرغم من تبدل الأزمنة وتطور الواقع وتغيره، وهي سلطة تتجاوز الزمان والمكان. ولكن لما كانت المجتمعات الإنسانية هي من صنع البشر عبر تاريخهم الطويل، فهي خاضعة لإرادتهم الواعية، ومن ثم فالزعم بأن النص يصنع الواقع الراهن ويصوغه، وأنه، أي النص، هو الحقيقة الأولى والواقع خاطئ إذا ما تعارض معه، فهذا الزعم في تقديري يعد محاولة لوأد إبداعات البشر، وتعطيل قدراتهم، وتقييد إمكانات تحررهم ومشاركتهم في صياغة حياتهم، ثم قهرهم بزعم قدسية النصوص وعدول الأسلاف الصالحين وعجز الخلف عن التشريع لدنياهم في حين أنهم أعلم بأمورها من أسلافهم.

إن اختيارنا لمفهوم الأصولية الدينية السياسية هو على وجهة التدقيق صدى لمضمون الظاهرة الموصوفة التي نحن بصددها. فالمقصود هو العودة إلى أصول الإيمان والاعتقاد، والبحث عن أسس المجتمع وقواعد الحكم وتنظيم حياة البشر داخل المعتقد أو النص الديني، وهو قاسم مشترك في الأصوليات الدينية قاطبة. ولذا فإن السؤال الأساسي للأصولية هو ماذا كنا؟ ولماذا لا نكون على ما كنا عليه؟ ويزعم الأصوليون FUNDAMENTALISTS أن الرجوع إلى الأصول هو الطريق لأي مستقبل ممكن، ولذلك يلحون بإصرار على أن التغيرات الاجتماعية ينبغي أن تكون محكومة بالقيم وأنماط التفكير التي

جاءت إلينا من السلف لأنهم عدول، ومن ثم يناضل الأصوليون بإخلاص من أجل العودة إلى أصول الاعتقاد الديني في نقائه الأول قبل أن تلوثه البدع والتحريفات، كما يرون أن المجتمع الإنساني محكوم بالقصد الإلهي، وعليه يجب إقامة سلطان الله على الأرض بعد أن اغتصبه أدعياء الربوبية من البشر. والدين من وجهة النظر الأصولية لا ينشغل بخلاص الإنسان فحسب، وإنما أيضاً بتنظيم حياته الدنيا اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وعلى كافة مستوياتها.

والأصولية FUNDAMENTALISM لغوياً، هي من أصول FUNDAMENTALS وهي لفظة إنجيلية مشتقة من لفظة FOUNDATION بمعنى أساس. ويؤرخ لظهور مصطلح الأصولية على وجه العموم في عام ١٩٢٠م عندما صكه رئيس تحرير إحدى المجلات الأمريكية في افتتاحية عدد يوليو من نفس العام، حيث عرف الأصوليين بأنهم أولئك الذين يناضلون بإخلاص من أجل العودة إلى الأصول، وقد شاع المصطلح إثر نشر سلسلة من اثني عشر كتيباً صدرت بين عامي ١٩٠٩م-١٩١٥م في الولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان الأصول وكانت تضم ٩٠ مقالة حررها رجال الدين المعارضين لأية تسوية تتم، أو أي حل وسط مع الحداثة والليبرالية المخيمة على أرجاء المجتمع آنذاك، وقد نشرت هذه السلسلة التي مولها شقيقان كلاهما من رجال الأعمال الأمريكيين ووزع منها ثلاثة ملايين نسخة بالمجان (٦).

وتحددت الأصولية في هذه الكتيبات من خلال عدة مبادئ منها، الإيمان بعصمة الكتاب المقدس المطلقة واعتبار العهدين القديم والجديد التعبير الحرفي عن الحقيقة الإلهية ولاسيما كل ما يشتمل عليه من مقتضيات معنوية أو خلقية أو سياسية أو اجتماعية ومهاجمة تيار نقد الإنجيل، ودعاوى الفحص الحر لآياته اعتماداً على إعمال العقل في نصوصه، وحذف النظريات العلمية المهددة لقصة

الخلق الإلهي للكون والتي جاءت في سفر التكوين، لأنه إذا لم يكن الله خالقاً للعالم في ستة أيام فسفر التكوين باطل، وإذا كان سفر واحد باطل فالأسفار كلها باطلة. وثانياً الاعتقاد في ألوهية المسيح، وبخلاص النفس نتيجة العمل الفعال لحياة المسيح، وموته وقيامته الجسدية، ويضاف إلى كل ذلك واجب الالتزام بالتبشير النشط تجاه جميع من لم يعتقدوا هذا المعتقد (٧).

إن الأساس في الظاهرة، هو الدعوة للعودة إلى أصول الإيمان والمعتقد الديني لتصبح إطاراً ناظماً لحياة البشر داخل المجتمع الإنساني، وذلك عن طريق الالتزام بالتفسيرات النصية الحرفية للنص الديني، ورفض تأويله بإعمال العقل في النص، وإحالة كافة قضايا البشر إلى الدين، والزعم بأن هذه القضايا تعد على تعددها وتباينها ذات أساس ديني، والانحياز إلى القواعد والممارسات التي أرساها السلف. وهذا هو ما يشكل مضمون الأصولية الدينية، وإن كان ثمة خصوصية فهي مردودة إلى أن الظاهرة الأصولية تتشكل بتشكل الدين ذاته، فتأخذ شكلاً إسلامياً أو مسيحياً أو يهودياً أو حتى بوذياً، ويعنى هذا أيضاً أن ثمة وحدة كامنة تجمع بين الأصوليات الدينية على تعددها وتنوعها وتباينها، بل وصراعها أيضاً.

يقول عبد السلام ياسين أحد قادة الحركة الأصولية الإسلامية في المغرب العربي "إن الله شرف العرب وقواهم بالإسلام، وعندما بحث العرب عن الشرف والقوة والمنعة في مواضع أخرى بعيدة عن الإسلام صاروا جديرين بالاحتقار والازدراء، وهذا بعينه هو روح وجوهر ما أكد عليه جيرى فلول GERRY FALWELL أحد قادة الحركة الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية ومؤسس حركة الغالبية الأخلاقية بأن "الله رفع مكانة أمريكا وعظمها، بحيث أن الأمم الأخرى لا تتمتع بمثل هذه المكانة، وذلك بسبب تراثها، حيث تحكم هذه الأمة بقوانين مستندة إلى الكتاب المقدس، ونحن

كشعب عندما، نعبر عن شكرنا لله – للرب – خالقنا، وليسوع المسيح منقذ الجنس البشري، سوف نكون قادرين على إدارة هذه الأمة اقتصادياً وأيضاً في كل مجال" (٨) ونحن من جانبنا نرى أنه في كلتا الحالتين، يتم النظر إلى العودة لقوانين الله على أنها مفتاح التقدم الاجتماعي، الاقتصادي والسياسي، وفي كلتا الحالتين أيضاً يتم النظر إلى الهوية الدينية والهوية القومية على أنهما متلازمتان.

لكل ذلك نرى أننا يجب أن نبحث عن المصالح الكامنة وراء هذه الدعاوى والمزاعم ليس في مجال الدين، وإنما في الظرف الاجتماعي الذي يحتاج إلى استخدام الدين في تحركه وتفاعلاته وبالتالي فإن البحث العلمي الاجتماعي في هذه الظاهرة يجب أن يتجه مباشرة إلى مجمل الشروط المادية الاجتماعية التي أفرزت المناخ الملائم لنشأة دعاوى العودة إلى الأصول FUNDAMENTALS، وإلى القوى الاجتماعية الحاملة لهذه الدعاوى، والتي تعبر عن مصالحها من خلالها.

ومن ثم يعد مفهوم الأصولية الدينية السياسية -POLITICAL RELIGIOUS FUNDAMENTALISM ، مفهوماً ملائماً لأننا نكون بصدد موقف اجتماعي وسياسي مصحوب بحالة من التعبئة السياسية باسم الدين. كما أننا أيضاً نكون بصدد حركة اجتماعية سياسية -SOCIAL POLITICAL MOVEMENT ذات شكل ديني أصولي، وهذه الحركة قد تعم المجتمع بأسره فتتغلغل كافة طبقاته وشرائحه الاجتماعية، كما أنها قد تكون تعبيراً عن صعود طبقة أو جماعة اجتماعية بعينها، أو تجسيداً لتحالف طبقات محددة داخل المجتمع ويعتمد الدين، باعتباره صيغة من صيغ الوعي الاجتماعي، كإطار أيديولوجي مرجعي له، ومن ثم فهذه الحركة يمكن أن تحوى داخلها العديد من التيارات والجماعات المنظمة وغير المنظمة السرية

وتلك التي تعمل في العلن، الرافضة للنظام القائم بكليته والتي تسعى لتغييره جذرياً، وتلك التي تقبل النظام وتعمل من خلاله وأن كانت تقر بعدم مشروعيته وتضمر النية أيضاً على قلب نظام وتغييره. وجميعها يمكن أن تتباين برامجها وأساليبها في العمل، كما يمكن أن تتصارع حول البرامج والممارسات الآنية، ولكنها، استراتيجياً يجمعها وحده الهدف الأقصى وهو إقامة مجتمع ودولة على أساس أصولي ديني.

وبالنظر إلى الدين بحسبانه صيغة جماهيرية من صيغ الوعي الاجتماعي، فإن هذه الصيغة من الوعي تسود بشكل واضح في أواسط الجماهير، وتسيطر بالكامل في بعض الأحيان على صيغ أخرى من الوعي وذلك في شروط تاريخية معينة، وفي مناطق معينة من العالم ويتم استخدامها كأداة في الصراع الاجتماعي السياسي، فتكون أداة للضبط والسيطرة، كما تكون أداة للمصالحة من الواقع السائد... والبائس، كما يمكن أن تستخدم أيضاً كأداة للتحريض والتمرد والثورة على الأوضاع القائمة، ولما كان من غير المنطقي التفكير في الحركات الاجتماعية دون النظر إلى مساهمات البشر بوعيهم وإرادتهم وتباين انتماءاتهم الاجتماعية والطبقية، فإن ذلك يعني بالضرورة أن كلا من الدين والحركات الاجتماعية السياسية تجمعهما نفس الجماهير. وإذا كان الأساس في الحركة الاجتماعية والسياسية هو السعي إلى إحداث تغييرات تتفاوت في اتجاهها ومداها، بما يحقق مصالح القوى الاجتماعية المكونة للحركة، فإن تلك القوى يتعين عليها أن تناضل وتكافح وتخوض صراعاً اجتماعياً وسياسياً ضد القوى الأخرى التي ربما تتطلع إلى الحفاظ على الوضع القائم، أو تبغى أن يكون التغير في منحى آخر يختلف عما تريده القوى المكونة للحركة.

وفي مسار الصراع يعد الصراع الأيديولوجي من الوسائل الضرورية لتأسيس التغيرات الاجتماعية وفرضها، حيث تلجأ القوى المتصارعة إلى مختلف الأيديولوجيات لتعبئ وتؤسس قواعدها الاجتماعية، وهنا تكون التعبئة الأيديولوجية سلاحاً هاماً تستخدمه القوى أو الطبقات الاجتماعية المتصارعة، لتبرر مصالحها، وتكتل الجهود والإرادات الواعية لإحداث التغير. أن عملية التعبئة الأيديولوجية هذه، والتي تعد شرطاً أساسياً، وإن لم يكن كافياً، من شروط ظهور الحركات الاجتماعية، يمكن في ظل ظروف محددة أن تتم باسم الدين، حيث يتم اعتماد الدين من قبل حركات اجتماعية سياسية بعينها، كإطار أيديولوجي مرجعي تبرر من خلاله رفضها للواقع الراهن، وسعيها إلى تغييره، وبالتالي نكون بصدد حركات اجتماعية سياسية ذات شكل ديني لأن هذه الحركات وإن ربطت اسمها بالدين، واستلهمت أطرها المرجعية منه، إلا أنها لا يمكنها أن تتخلع من انتمائها إلى تناقضات الواقع القائم والذي تعد هي إفراز له. فهي تطمح كغيرها من القوى الاجتماعية المتصارعة لأن تسطير على سلطة الدولة لتستخدمها في إحداث التغيرات التي ترتضيها وتحقق مصالحها، ولكنها تعتمد في صراعها على الدين من أجل تحقيق أهدافها. ومن ثم فالأساس المنهجي لتحليل تلك الحركات التي تتخذ من الدين غطاء لها لابد وأن يعتمد أساساً على التحليل التاريخي البنائي لمضمونها الاجتماعي الطبقي، وبحيث ينصرف البحث إلى الكشف عن أسباب ظهور هذه الحركات ليس في داخل الدين ودوافع الإيمان، وإنما في مجمل الشروط الاجتماعية المادية، الموضوعية والذاتية، التي أنتجت الحركة.

ولما كانت الحركة السياسية الدينية تهدف إلى تغيير الواقع جذرياً، فهي تتبنى مواقف حدية وقطعية تجاه هذا الواقع لتبرر رفضها له ومطالبتها بتغييره، فالحركة ترفض المجتمع ومختلف ظروف الواقع، وهي تنتقل من رفض الواقع

إلى مواجهته والبحث عن واقع بديل أو مجتمع بديل. وثمة حركات تسعى إلى خلق مجتمع خاص بها من خلال الانعزال عن الواقع المرفوض لحين من الوقت، وتعلن من خلال عزلتها الشعورية أو الكلية والتامة نوعاً من الحرب السلبية الصامتة معتمدة على ما عرف بالتقية إخفاءً لموقف الرفض في مرحلة الاستضعاف. في حين تسعى حركات أخرى إلى المواجهة المباشرة بالانخراط في الصراع السياسي، فهي تسلب الواقع الراهن شرعية البقاء، وتنتهج وسائل عديدة من أجل تغييره تتراوح ما بين استخدام الألفاظ والكلمات والعنف المباشر كوسيلة لتحقيق أهدافها في فرض البديل الجديد على المجتمع.

وفي سياق الصراع الذي تخوضه الحركة تحت راية الدين وباسمه يصبح لثنائية الكفر والإيمان، وسلاح التكفير، دوراً هاماً وفعالاً في تحديد هوية أطراف الصراع، وأيضاً في عملية التعبئة السياسية والنفسية للأشياع والمؤيدين. ويرى حبيب (٩) أن الدين في مثل هذه الحركات ينهض بدور مهم يتمثل في إعادة ترتيب القيم القديمة من خلال طرح الحركة لخطاب ديني متميز ينطوي على قيم جديدة، كما يتمثل أيضاً في الدعوة إلى تغيير الأدوار السياسية لطبقات المجتمع من خلال إضفاء طابع ديني على قضايا السياسة والاقتصاد والمجتمع، أو رؤيتها بمنظور ديني يهدف إلى إعادة بناء علاقات السلطة والقوة بما يحقق مصالح القوى المكونة للحركة.

ثانياً: الظواهر والمؤشرات الدالة على تصاعد المد الأصولي المسيحي في المجتمع الأمريكي المعاصر:

عادة ما يؤرخ للبدايات الأولى لانحسار النظام الديني وتراجعه في المجتمعات الغربية عن أن يكون هو الإطار الناظم الذي يحكم سلوك البشر ومجتمعاتهم بعام ١٥٤٣م. فمع هذا التاريخ بزغت عقلية جديدة بسبب نشأة علم جديد للكون، اعتبر وقتها انتهاكاً لحرمة المقدس والدين. فمع جاليلو GALILEO (١٥٦٤-١٦٤٢م)، وكوبرنيقوس COPERNICUS (١٤٧٣-١٥٤٣م) أصبح العلم قادراً على تكوين رؤية علمية تجب أية رؤية أخرى وتتجاوزها. وكان مغزى ذلك أنه إذا ما تعارض العلم مع الدين، فعلى الدين أن يترك مكانه للعلم. بيد أن المسألة لم تقف عند هذا الحد، فقد بدأت حركة نقد ديني، أو بالأدق إصلاح ديني لإعداده فحص وتقييم الكتاب المقدس وتأويله تاريخياً وبإعمال العقل في النص الديني. وكان رواد هذه الحركة لوثر وكلفن . LUTHER AND CALIVIN وواكبت هاتين الثورتين، العلمية والدينية، ثورة في الفكر السياسي قادها ميكافيلى N. MACHIAVELLLI ، وكان مفادها أن السياسة لا تستند إلى قيم دينية أو قيم أخلاقية مطلقة، وإنما إلى المصلحة والمنفعة ومن ثم استبعد المقدس من مجال السياسة (١٠).

وكانت المحصلة النهائية لتلك الثورات أن الوجود الطبيعي والإنساني أصبح يتحدد ببعدين هما الزمان والمكان. وهذا هو جوهر العلمانية SECULARISM . إزاحة للقداسة وللتصورات الدينية للعالم، وإخراج الحيلة الإنسانية وأغراضها وسبل ممارساتها من دائرة العناية الإلهية، وسيادة تصوراً آخر للعالم خال من كل ما هو مقدس، وفقدان الأفكار والممارسات الدينية أهميتها ودلالتها وفاعليتها على المستوى الشامل للحياة الاجتماعية. وانفصال النظم الدينية عن تلك النظم الخاصة بالدولة والمجتمع. وبمعنى آخر فك

الارتباط بين الدين وحياة المجتمع وأمور الدنيا. وفي المثل الكلاسيكي الفصل بين الكنيسة والدولة أو فك الارتباط بين السلطة السياسية والعقيدة الدينية فلا تعود هناك علاقة مقدسة بين الاثنين، وتنحر المخيلة الشعبية من وهم هذه العلاقة ومن ثم انحسار الدين وانسحابه إلى العالم الخاص، بحيث يكون سلطانه فقط على تابعيه، وليس له من سلطان على أي قسم آخر في الدولة والمجتمع(١١).

وفي القرن الثامن عشر تم تتويج العلمانية بالتنوير ENLIGHTENMENT، وكانت فلسفة كنط KANT هي المعبر الحقيقي عن روح التنوير. لقد ارتأى كنط أن التنوير هو هجرة الإنسان من اللارشد IRRATIONALISM وهو علة هذه الهجرة. واللارشد هو عجز الإنسان عن الإفادة من عقله من غير معونة الآخرين، أو هو بمعنى آخر نقص في التصميم والجرأة على استخدام العقل من غير معونة الآخرين. ولذا كان شعار التنوير "كن جريئا في استخدام عقلك". وترتب على ذلك عدم الاعتراف بأي سلطان يأتي من الخارج. فلا شيء ولا فكرة تتأبد وتتعالى على النقد، بل كل شيء خاضع للنقد، وعليه أن يبرر وجوده أمام محكمة العقل أو تنتفي عنه مشروعية الوجود. ومن ثم أصبح العقل هو المعيار الوحيد لجميع الأشياء والحاكم الأوحد لكل ما هو موجود، فتأسست حكومة عقلية ومجتمع مدني، وبالأحرى حكومة ومجتمع علماني لا أحد فيه يحكم بالحق الإلهي وكان العقد الاجتماعي وإعلان حقوق الإنسان والفصل بين السلطات ومبدأ التمثيل النيابي والشرعية الدستورية من ثمار تلك لمواجهة الواقعية الملموسة بين الثورة الاجتماعية والمؤسسة الدينية (١٢) وترتب على ذلك انفتاح المجال أمام تثوير الواقع وتغييره جذراً. فالتغيير كان يستلزم نفي القداسة، والإحالة من المطلق إلى النسبي. وخلاص العقل والمجتمع من السيطرة اللاهوتية والغيبية، وانتقال

البشر من وضعية الرعايا إلى وضعية المواطنين الأحرار سادة مصيرهم. ولم يبق بعد ذلك سوى التزام العقل المتحرر من كل سلطان إلا سلطانه هو، لم يبق سوى التزامه بتغيير الواقع الاجتماعي فاشتعلت في الغرب الثورات البرجوازية ثم الثورات الاشتراكية مع مراعاة التنويعات والتباينات الأيديولوجية.

وقد شهدت المجتمعات الغربية على امتداد القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، نضج وشيوع الحركات والفلسفات ذات الاتجاه العلماني، أو في الأغلب البعيدة عن الدين. وكان ذلك من ناحية يعد امتداداً منطقياً لعصر التنوير وما أعقبه من تيارات وأيديولوجيات عقلانية، ومن ناحية أخرى، كانت تلك الحركات والفلسفات ذات الاتجاه العقلاني انعكاساً لعملية التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته تلك المجتمعات. فلقد ارتبطت المجتمعات الغربية إبان صعودها الاقتصادي بالأفكار والأيديولوجيات التي تدفع نحو التقدم الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والثقافي والفني ، وكانت تلك الأفكار والأيديولوجيات تتعلق بالمجتمع ككل وبطبقاته المختلفة، المتناقضة المصالح والمتصارعة. ويعنى هذا أن مشروع الحداثة MODERNISM الغربي بمفهومه البورجوازي، ومنذ نشأته الأولى وقت صعود البورجوازية، كان ينهض على أساس مادي علمي من حيث المنهج والرؤية والمطالب والطموحات وأساليب المواجهة، ومن ثم استبعدت التصورات الميتافيزيقية للتقدم من حيث الشعارات والوسائل. وفي المقابل، كان الطرف النقيض للمشروع البورجوازي، أعنى المشروع الاشتراكي، قد استند بدوره أيضاً إلى العلم في صياغة مشروعه لتقويض أركان المجتمع الرأسمالي وتأسيس مجتمع مغاير أكثر عدلاً وإنسانية هنا على الأرض وليس في عالم آخر(١٣).

ويجدر التنبيه هنا إلى أن القاسم المشترك في المشروعين، الرأسمالي والاشتراكي، كان هو انحسار الدين وتراجعه عن أن يكون الإطار الناظم لحيلة

البشر، واضمحلال فاعليته على مستوى الحياة الاجتماعية بشموليتها واتساعها، واقتصار هذه الفاعلية على مستوى الضمير الداخلي للإنسان الفرد. ولم يـــأت ذلك الانحسار والتراجع نتيجة لتنازل طوعي من قبل الدين عن كل مـــا هـــو دنيوي، وإنما تم نتيجة معارك ضارية علـــى جميـــع الجبـــهات بيـــن القـــوى الاجتماعية ذات التوجه العلماني، وتلك الأخرى ذات التوجه الديني والتي كانت لها السيطرة شبه التامة على المجتمعات الأوروبية.

ولكن، وعلى الرغم من القدر العالي من التقدم العلمي والتكنولوجي الذي تحقق في المجتمعات الغربية على تباينها، فإن ذلك لم يكن يعني بـالضرورة أن الدين قد فقد مكانته وسلطته بالفعل في تلك المجتمعات. فبرغم تبنيها العلمانيـــة على الصعيد الدستوري بما يعنيه ذلك من فك الارتباط بيـــن الديـــن والحيـــاة السياسية، وضمان حرية المعتقد الديني، إلا أن واقع الدين في تلك المجتمعـــات كان أكثر تعقيداً وتشعباً من ذلك، فقد بقيت المجتمعات الغربية متأثرة إلى حـــد بعيد بتراثها الديني، وبالإرث النظري والمؤسسي لتاريخها الديني، وشاهد علـى ذلك نتائج البحوث التي أجريت حول موقف الغرب من الدين بشكل عـــام مـــن حيث هو عقيدة وإيمان وممارسة، وتشير هذه النتائج إلى عمق تواجـــد الديـــن المسيحي داخل الحياة العائلية وفي صلب العلاقات الاجتماعية، إلـــى حـــد أن المواطنين الألمان، على سبيل المثال، ما زالوا حتى الآن يدفعـــون ضرائـــب للكنيسة مثلما يدفعونها للدولة الأمر الذي جعل للكنيسة في ألمانيا نفوذا سياســـياً له اعتباره. وهذا الوضع قام على أساس اتفاق تم عقده في القرن الماضي بيـــن الدولة والكنيسة، وأن هذه الضرائب الإجبارية لا يعفي منها المواطن الألمـــاني إلا إذا أعلن أمام جهة قضائية أو هيئـــة الأحـــوال الشـــخصية خروجـــه مـــن الكنيسة(١٤).

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، نجد أن الفصل الدستوري بين الدين والدولة لا يعكس دائماً العلاقات المعقدة بين الكنائس والسلطات. فعلى حد تعبير ريتشارد فيجرى R.A. VIGURIE ، أحد قادة الحركة الأصولية المسيحية في المجتمع الأمريكي، "أن فصل الكنيسة عن الدولة لم يكن يعنى أبداً فصل الله عن الحكومة". وشاهد على ذلك أنه برغم الفصل، فإن المؤسسات العمومية في المجتمع الأمريكي لا تخلو من وجود الحس الديني، بل إن هذه المؤسسات تعرف جواً من التدين لا مقارنة لها مثلا بأوربا. ومن مؤشرات هذا التدين في أعلى هرم السلطة تذكر أن الرئيس الأمريكي يؤدي اليمين على الإنجيل في بداية فترة رئاسته، وأن دورات البرلمان تفتح بتلاوة النصوص الدينية. وكان كل من كارتر J.CARTER وريجان R.REAGAN ، وبوش G.BUSH الرؤساء السابقين للولايات المتحدة، لا ينفكوا عن ذكر الله في كل أزمة من الأزمات التي تمر بها الولايات المتحدة، بل ويطلبون من الناس العودة إلى القيم الدينية والتمسك بها (١٥). بل أن ريجان، الرئيس السابق للولايات المتحدة، كان يرفع الكتاب المقدس بيده، أثناء حملته الانتخابية، معلنا أن بين دفتي هذا الكتاب توجد حلولا لكافة مشكلات العصر. كما ذهب أثناء رئاسته إلى حد مساندة اقتراح بخصوص إعادة واجب الصلاة في المدارس. هذا فضلا عن أن الدولار الأمريكي يحمل الشعار التالي . IN GOD WE TRUST وقد أصبح الآن للكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية القوة والفاعلية مما يجعلها قادرة على تعبئة المجتمع من ناحية، والضغط على الدولة بقصد الحصول على تشريعات تتماشى مع معتقداتها وتصوراتها، أو منع إصلاحات بعينها قد تتعارض مع هذه المعتقدات من ناحية أخرى (١٦).

ويترتب على ما سبق، أن مسألة تراجع الدين وانحساره أصبحت موضع إعادة نظر. فالاهتمام صار ينصرف إلى شيوع الحاجة إلى الدين والتي تعم

المجتمعات الغربية والموسومة من قبل الأصوليين بكونها مجتمعات مختلة بفعل أزماتها الهيكلية الناجمة في رأيهم، عن الانفصام الحادث بين معتقداتها الدينية وحياة البشر فيها على تنوعها وتباين مستوياتها.

وعلى امتداد العقود الأخيرة من القرن الحالي، تصاعد المد الديني وترسخت جذوره في الغرب بفعل عوامل عديدة نذكر منها، تفاقم أزمات المجتمعات الاشتراكية وتحولاتها وانهيار أنظمتها، والأزمة الشاملة في صلب النموذج الرأسمالي المتقدم وما واكبها من بطالة مطردة الارتفاع، وتدهور لمستويات المعيشة بفعل عدم القدرة على التحكم في التضخم، وتناقص الاعتقاد في البديل اليساري وتبنى طريق التحول الليبرالي البرلماني. أيضاً تهديدات الحرب النووية التي تنطوي على إمكانية إفناء الجنس البشري بكامله، والكوارث التي واكبت إنجازات الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة، وما ولدته من مشاعر الخوف واليأس والإحباط بفعل تناقص قدرة البشر في السيطرة على مصائرهم، الأمر الذي شاعت معه في الغرب دعاوى عجز العقل الإنساني والمؤسسات الإنسانية، والتشكيك في قدراتهم على مواجهة المعضلات والمشكلات التي تجابه الإنسانية في طريق تطورها. ومن ثم انتعش، ثانية، الإيمان بالغيب، والهروب إلى ما يسمى بعلوم التنجيم والسحر، وازدهر الاعتقاد بوجود قوى تتجاوز الإنسان العاجز ومؤسساته القاصرة، وتعلوهما، ويكون بيد هذه القوى مصير البشر وخلاصهم. وفي تقديري أن ذلك كله كان من شأنه تهيئة المناخ لبزوغ العديد من الظواهر التي شكلت في مجملها مؤشراً لتصاعد المد الأصولي الديني في المجتمعات الغربية في السنوات الأخيرة. وقد تمكن الباحث، وفي حدود المصادر التي رجع إليها من أن يرصد عددا من الظواهر المتنوعة المحسوسة، والتي تعد مؤشراً على تصاعد المد الأصولي المسيحي

في المجتمع الأمريكي خلال الربع الأخير من القرن الحالي، على مستوى السلوك الفردي والاجتماعي والسياسة الحكومية.

فعلى مستوى السلوك الفردي، نجد أنه مع الترويج لعدم جدوى الالتزام السياسي، وتفاقم الأزمة المجتمعية بأبعادها وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وما واكبها من إحساس بالخداع والعجز والتوتر والاغتراب، صار الدين والمنظمات الدينية ملجأ وملاذا لخلاص الأمريكيين. يتضح هذا في الفورة الدينية التي اشتدت حميتها في العقدين الماضيين (١٩٧٠-١٩٩٠)، والتي كشفت عنها استفتاءات الرأى في المجتمع الأمريكي، إذ تشير إلى ازدياد نسبة الانجذاب نحو الدين. فالشعب الأمريكي أصبح أكثر نشاطاً في بحثه عن مبررات روحية لحياته، وأكثر اقتناعاً بأن الدين يستطيع بشكل أفضل من العلم تقديم حلول لمشكلاتهم. كما تشير الاستفتاءات أيضاً إلى زيادة عدد الأفراد الذين يواظبون على ممارسة الشعائر الدينية وإلى أن الأمريكيين أصبحوا أكثر إيماناً بوجود الله واعتقاداً بالجنة والجحيم، وذلك لدى مقارنة المجتمع الأمريكي بغيره من المجتمعات الغربية الأخرى (١٧).

ويمكن أن نتبين الإحياء الأصولي المسيحي، في المجتمع الأمريكي، وفي شيوع المظاهر الواضحة للنكوص والارتداد إلى أنماط من الحياة الدينية التقليدية، بحثاً عن العلاقات الحميمة التي تتسم بها المجتمعات القروية والجماعات البدائية والتي كانت التغيرات الاجتماعية المتسارعة سبباً في فقدانها. ويتجسد هذا النكوص في ظهور أشكال متباينة من الدين المسيحي غير المؤسسي. وقد ارتبطت هذه الأشكال بتحطيم أوهام البشر المتعلقة بالمجتمع الصناعي، ومن ثم ظهرت جماعات كاملة من السكان يصل تعداها إلى الملايين، في عدة ولايات أمريكية، لا ترغب في التكيف مع الواقع الجديد الذي ترفضه والذي لا تفكر حتى في مواجهته، وإنما تهجره وتنسحب منه. وتلتزم

هذه الجماعات بقضايا أخلاقية ودينية صارمة يتم تعلمها والالتزام بها بحزم ومثابرة، كما تتسم أيضاً بالرفض المتراوح لمختلف صور الحضارة الحديثة. ويوسم أعضاء هذه الجماعات بأنهم مهاجرون من الزمان مخاصمون للعصر كله. مستريحون في قراهم البعيدة والتي رفضوا حتى إدخال الكهرباء إليها بزعم أنها لم ترد في الأسفار المقدسة. ومن ثم فهم يأكلون ويلبسون ما تصنعه أيديهم، ويزرعون بأدواتهم البسيطة الأولية، ويعلمون أجيالهم أسفار الكتاب المقدس، ويسهمون في الحياة العامة بالقدر الذي يسمح لهم بالاستمرار والحفاظ على كياناتهم التي أسسوها (١٨).

والشكل الثالث للإحياء الأصولي المسيحي نلمحه في الكنائس الأصولية البروتستانتية الأمريكية، حيث تشهد هذه الكنائس نمواً كبيراً في الاتحادات التطوعية الاختيارية المناهضة للبواعث العصرية في الحضارة الأمريكية، في السياسة الداخلية والخارجية، وفي الجنس والأخلاق والإجهاض. واتباع هذه الاتحادات أكثر تحفظاً وتطرفاً في اعتقاداتهم وتفسيراتهم الحرفية للنصوص الدينية ويطلق عليهم المسيحيين المولودين من جديد، أو المسيحيين من أتباع الميلاد الثاني. BORN AGAIN CHRISTIANS . وتشكل هذه الجماعات العناصر القوية الفاعلة في عمليات الإحياء الأصولي المسيحي داخل المجتمع الأمريكي. وينتمي إليها أكثر من أربعين مليوناً أمريكياً، يأتي معظمهم من الفئات المتعلمة الأمريكية التي تعود بأصولها إلى الطبقة الوسطى الدنيا الأمريكية. وهي فئات تواجه تأزم المجتمع الأمريكي وتفاقم مشكلاته بإظهار حاجتها إلى الدين كمنقذ ومخلّص. ولقد بدأ النشاط الديني والاجتماعي الفعلي لهذه الاتحادات في أواخر الستينات وفي السبعينات من القرن الحالي. وكانت مطالبها في البداية محصورة في مناهضة الثقافة الليبرالية في المجتمع وداخل الكنيسة، والدعوة إلى هجرها والعودة إلى الأصول الكتابية صوناً للمجتمع الذي

أسسه الأسلاف أو الرواد الأوائل. ولذلك عمدت هذه الاتحادات إلى ممارسة نوع من الضبط العقيدي المناهض للعلمانية والتأثيرات والاهتمامات العلمية في الحضارة الأمريكية، وامتد هذا الضبط إلى المؤسسات التعليمية والإعلامية والتشريعية ومؤسسة الرئاسة الأمريكية. فطالبوا بتحريم الإجهاض وإقامة واجب الصلاة داخل المدارس العامة، ومنع تدريس نظرية التطور. بل ذهبت هذه الجماعات إلى حد الدعوة إلى هجر المدارس العامة ورفض التعليم داخل المدارس العلمانية، ورفض أساليب التنشئة غير الدينية، وأنشأت مدارس خاصة ومؤسسات تعليمية موازية لمؤسسات الدولة بهدف خلق جيل أمريكي أصولي لا يتأثر بالعلمانية. وفي أواخر السبعينات بدأت هذه الجماعات تهتم بالشئون السياسية والاقتصادية وتحولت إلى قوة سياسية فاعلة ومؤثرة، تدافع عن الاقتصاد الحر والتفوق العسكري الأمريكي. وكان لنشاطهم في حملات ريجان R. REAGAN الانتخابية وقربهم من إدارته دور كبير في صعود قادتهم وتزايد تأثيرهم على عملية صنع القرار وصياغة الخطاب السياسي الأمريكي في عقد الثمانينات (١٩).

نأتي إلى شكل آخر من الإحياء الديني في المجتمع الأمريكي، حيث شهد هذا المجتمع في الربع الأخير من القرن الحالي، وبشكل ملحوظ، نمواً في أعداد الأفراد الذين ينتمون إلى فئة ما يسمي بالديانات الجديدة. حيث ظهرت أنواع من النحل والطوائف SECTS والفرق الدينية ليست جميعها على علاقة بالديانة المسيحية، وإنما يعد بعضها تفرعاً من ديانات أخرى، في حين يكاد البعض الآخر يكون نوعاً من الديانة المستقلة التي تستقى أصولها من دين بعينه، ثم تطور أفكاراً ذاتية تجعلها متميزة عن الدين الذي تولدت عنه. ويعد المجتمع الأمريكي سوقاً مركزية لهذه الديانات الجديدة. فهو بمثابة الأرض التي تتفرخ فيها هذه الديانات الجديدة، حتى تلك التي لها جذور آسيوية، ومنه تصدر

إلى باقي دول العالم. وتشير الإحصاءات إلى أن عدد المنتمين لهذه الدينات في المجتمعات الغربية بالإطلاق، كان ٧٦ مليوناً و ٤٤٣ ألف شخص في عام ١٩٧٠ ، ثم وصل إلى ١٠٨ مليون و ٥٠٥ ألف شخص في عام ١٩٨٦م. ويقدر أتباع هذه الديانات والطوائف في الولايات المتحدة الأمريكية بعشرين مليوناً من الأمريكيين يتوزعون على طوائف دينية عديدة يصعب وضعها جميعاً في سلة واحدة. فإذا كان الدين والغيبيات يجمعان بينها، فإن بعضها ينهض برسالة دينية فحسب، في حين أن بعضها الآخر ينطوي على السياسة والمال والمخدرات والفضائح الأخلاقية (٢٠).

ونذكر من هذه الطوائف جماعة "معبد الشعب"، وهي الطائفة الشهيرة إلى تزعمها جيم جونز . JIM JONES والتي قامت بانتحار جماعي في نوفمبر ١٩٧٨ مات فيه ٩١٢ من أعضائها. وأيضاً طائفة كريشنا KRISHNA، وهي عقيدة دينية (بوذية)، أتباعها من الشباب، يرتدون الملابس الهندية، وهم نباتيون ويمتنعون عن التفكير إلا في الأمور التي تحض عليها العقيدة، ويعتمدون على الرقص والغناء والتأمل لتطهير أفكارهم والتلاشي والذوبان في اللانهائي ومن الطوائف التي تتمتع بشهرة عالمية من حيث عدد الذين ينضوون تحت رايتها ويصل عددهم إلى الملايين في القارات الخمس، طائفة مون MOON التي أسسها صن ميونج مون SUN MYUNG MOON في عام ١٩٥٢ في سيول بكوريا الجنوبية، ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ويقدر عدد الكوادر المتفرغة للعمل الكامل في تجنيد الأفراد لهذه الطائفة بنحو مائة ألف شخص. وهي منظمة ترتبط بعلاقات قوية برجال السياسة ذوي المسئوليات العليا على مستوى دول العالم. وتعتبر هذه المنظمة من أكبر الجماعات السياسية ذات التوجه المعلن في العداء للشيوعية ولحركات التحرر الوطني، وهي تناصر وتساند الحركات اليمينية والحكومات العسكرية

المناهضة للتحرر الاجتماعي والوطني في العالم الثالث. وتمتلك الطائفة جهازاً إعلامياً ضخماً وتنظيماً متعدى القومية. وتقوم المخابرات المركزية الأمريكية بدور هام في تحريك هذه الطائفة بل والسيطرة على أنشطتها. وقد ساندت الطائفة العديد من الانقلابات العسكرية في أمريكا اللاتينية. كما أثارت الأنشطة التي تقوم بها على الصعيد العالمي العديد من الفضائح المرتبطة بالدعارة وتجارة المخدرات (٢١).

والظاهرة الأخيرة التي نرصدها، والتي شكلت في مجملها ومع الظواهر السابقة مؤشرات على الإحياء الأصولي المسيحي في المجتمع الأمريكي خلال الربع الأخير من القرن الحالي، تتمثل في اقتحام جيل من المحافظين الأمريكيين الجدد NEO-CONSERVATIVES ، والذين يمثلون ما أصبح يعرف باليمين الأمريكي الجديد THE NEW RIGHT ، اقتحامهم بقيادة رونالد ريجان R. REAGEN البيت الأبيض عام ١٩٨٠ معلنين بداية تأسيس جمهورية أمريكية محافظة CONSERVATIVE، تسعى لإحياء القيم والتقاليد الموروثة، وتعادى التغيرات الجديدة في العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتعمل على ترسيخ الإيمان بالحرية الفردية والحد من سيطرة الدولة، ومعاداة تدخلها في الاقتصاد، ورفض أية محاولة لإعادة توزيع الثورة، فضلاً عن إشاعتها للنزعة الوطنية المتطرفة وما يرتبط بها من اعتقاد بأهمية القوة العسكرية والتفوق العسكري في السياسة الخارجية. وارتأت جماعات اليمين الأمريكي الجديد أن إنجاز تلك المهمة المقدسة التي تحمل تبعتها، إنما يقتضى تطهير وطن الأجداد من أولئك الأمريكان أعداء التفوق الأمريكي المطلق في العالم، والذين أصبحوا أسرى الليبرالية والإلحاد والجماعات الضالة المناهضة لحروب أمريكا ضد الأشرار في كل مكان من العالم (٢٢).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه التصورات التي طرحها اليمين الجديد قد شكلت المحاور الأساسية للخطاب السياسي الأمريكي فى عهد ريجان ١٩٨٠-١٩٨٨. فهو يدعو إلى استعادة روح البطولة الأسطورية للأجداد الذين أسسوا الوطن، ويروج للدور التاريخي الإنساني الذي اختص به القدر أمريكا دون البشر أجمعين لمطاردة وعقاب الأشرار وحماية ودعم الأخيار على اتساع العالم كله. والمعيار في التمييز بين الأخيار والأشرار معيار أمريكي بحت وذو صبغة دينية تنفرد بتحديده جماعات اليمين الجديد التي حكمت أمريكا منذ مطلع الثمانينات، والتي سعت لإضفاء مسحة من القداسة على اختياراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية لتبرير هذه الاختيارات لدي الأمريكيين، وذلك بتغليفها بنظرة مسيحية أصولية وتفسيرات حرفية للنبوءات التوراتية والإنجيلية الوارد في الكتاب المقدس. يعني هذا، أن الإدارة الأمريكية التي تولى ريجان رئاستها منذ مطلع الثمانينات تبنت موقفاً واضحاً بخصوص استخدام الدين لتسير سياستها ولأغراض أيديولوجية وسياسية تدعم خيارتها وتوجهاتها(٢٣).

ثالثاً: السياق البنائي والفكري لصعود الأصولية المسيحية:

نتعرف هنا على التغيرات البنائية التي شهدها المجتمع الأمريكي في عقدي السبعينات والثمانينات من القرن الحالي، وما سبقها وواكبها من تيارات فكرية كونت في تلاحمها السياق الاجتماعي الملائم لاستخدام الدين لأغراض أيديولوجية وسياسية، ومن ثم دفع بالحركة الأصولية المسيحية إلى الازدهار والصعود. ويرى الباحث أن ثمة تيارين فكريين مهدا المناخ الفكري لصعود الأصولية المسيحية السياسية في الربع الأخير من القرن الحالي في المجتمعات الغربية الرأسمالية بالإطلاق والمجتمع الأمريكي على وجه الخصوص التيار

الأول هو تيار نهاية الأيديولوجيا، أما التيار الثاني، فقد تمخض عن تفكك حركات الشباب في مايو ١٩٦٨ ما تبع هذا التفكك من تفجر لتنظيمات دينية ودعاوى للعودة إلى ما قبل المجتمع التكنولوجي. أما فيما يتعلق بالتغييرات البنائية، فسنحاول إلقاء الضوء على طبيعة وأبعاد الأزمة البنيوية التي خبرها المجتمع الأمريكي منذ السبعينات، وصعود الريجانية كتعبير عن فلسفة اليمين الأمريكي الجديد في مطلع الثمانينات ومحاولتها لإحياء الحلم الأمريكي، وأثر ذلك كله في ازدهار التيار الأصولي المسيحي السياسي داخل المجتمع الأمريكي.

أ- نهاية الأيديولوجية والعودة إلى تراث ما قبل التنوير:

في عام ١٩٦٠، نشر عالم الاجتماع الأمريكي دانيال بل D.BELL كتاباً يحمل عنواناً هو "نهاية الأيديولوجيا THE END OF IDEOLOGY " حول نهاية الأفكار السياسية في الخمسينيات (٢٤) وفي هذا الكتاب قدم بل BELL شهادة الوفاة الطبيعية للأيديولوجيا السياسية. فقد ارتأى "بل" أن عصر النظريات القائمة على مصالح طبقة أو مجموعة اجتماعية، قد انتهى. فالأيديولوجيات القديمة، يعني الماركسية والليبرالية، قد وصلت إلى طريق مسدود، وأثبتت إفلاسها كبديل لمستقبل البشرية عوضاً عن الدين. يقول "بل"، إن هذه الأيديولوجيات قد استنفذت، ولا يتضح من تاريخها إلى لا حقيقة واحدة، وهي أنها فقدت مصداقيتها وقدرتها على الإقناع. فمع تطور المجتمع الصناعي تصبح الفوارق الطبقية أقل تميزاً، وتتجه إلى الاضمحلال والتلاشي، ومن ثم تحل المعالجة العلمية الخالصة للقضايا الاجتماعية والاقتصادية محل المعالجة الأيديولوجية. وتتسم هذه المعالجة العلمية بأنها مستقلة عن الطبقات والاعتبارات السياسية، وتستند إلى معايير دقة البيانات وتحسين تكنيك البحث،

وكفاءة النتـــائج، ومــن نمــو وســيطرة أســلوب التفكــير التكنوقراطـــي TECHNOCRACY ينبثــق أمامنــا مجتمــع لا يسترشــد بالاعتبـــارات الأيديولوجية، وإنما بالعلم والترشيد أو "العقلانية" RATIONALIZATION وهذا هو مجتمع المستقبل (٢٥). وبهذا المعنى يرى بل أن عصر الأيديولوجيــا قد انتهى (٢٦).

إن بل في دعوته نظر إلى الأيديولوجية باعتبارها شكلاً مـــن أشـــكال الديانات السياسية الكاذبة والفاسدة. فهي، من وجهة نظره، تحول الأفكار إلـــى عتلات اجتماعية لتحريك الجماهير. حيث تدار هذه العتلات من أجـــل التـــأثير على الرأى العام وعلى وعي البشر وفقاً لأهداف سياسية معينة، بغض النظـــر عن صحة مبادئها، لأنها تهف فحسب إلى خدمة مصالح القـــوى المتصارعـــة. ولذلك ذهب "بل" إلى أن العقود التي ستلي عقد الخمسينيات من هذا القرن سوف تشهد نهاية أيديولوجيات القرن التاسع عشر كأنظمة عقلية كـــان باســتطاعتها ادعاء امتلاك الحقيقة، وادعاء صحة وحقيقة وجهات نظرها حول العالم (٢٧).

واتساقاً مع تصوراته، أعتقد "بل" أن المجتمع الأمريكي قد تغلب علـــى كل مشكلاته الجوهرية، ولم يعد في حاجة إلى أي نـــوع مـــن الأيديولوجيـــا. فالصراعات الأيديولوجية لم يعد لها مكان في عالمنا المعاصر لانتفاء أســـباب الصراع الأيديولوجي العميق الذي اتسم به النصف الأول من القـــرن الحـــالي. وبالتالي لم تعد هناك حاجة لا للاشتراكية المتزمتة ولا لليبرالية المتزمتـــة، لأن عصر التناقضات الأيديولوجية قد انتهى على حد تعبـــير ريمـــون آرون R. AROUN، أحد منظري تيار نهاية الافتتـــان والإعجـــاب بالأيديولوجيـــات، وانحلال وتدمير واختفاء التركيبات الأيديولوجية (٢٨) واعتقد "بل أن انحـــلال وتدمير واختفاء الأيديولوجيات الغربية مردودة في رأيه، إلى أن هذه المجتمعات قد حققت قدراً من الاتفاق العام GENERAL CONSENSUS اختفت معـــه

أية تيارات أيديولوجية متعارضة تعكس تعارضاً وتناقضاً في المصالح والأهداف للقوى الاجتماعية. وعلى حد زعمه، واتساقاً مع كل هذه المقدمات، تصبح الأيديولوجيا السياسية، والالتزام السياسي، أموراً غير ضرورية لخوض أي نضال سياسي واجتماعي داخل ديمقراطيات الوفرة الغربية (٢٩).

ومع اختفاء الأيديولوجيات السياسية الكاذبة والفاسدة، كما ادعى "بل" لا يبقى أمام البشر سوى العودة إلى الدين، الذي ادعت تلك الأيديولوجيات أنها بديل عنه. وبذلك ينفتح الطريق أمام الأصولية الدينية لتناضل بالمطلق الأصولي (٣٠) وبيان ذلك، في تقديري، على النحو التالي:

في رأى "بل" أن الدين حاجة ضرورية تعبر عن وعي البشر بمحدوديتهم وتناهيهم ومحدودية قدراتهم، وسعيهم لإيجاد إجابات متماسكة ومترابطة للأسئلة الوجودية التي تقابل كل المجتمعات البشرية والمتعلقة بوعي البشر بوجودهم المتناهي، كيف يقابل المرء الموت؟ وما طبيعة المأزق الإنساني؟ وما طبيعة الواجب والالتزام؟ هذه الأسئلة وغيرها، تعد ثقافي كونية، وهي توجد في كافة المجتمعات الإنسانية. وقد يستطيع الإنسان أن يسيطر على الطبيعة بالمعرفة العلمية وبتطوير قدراته التكنولوجية، ولكن هذه الأسئلة الوجودية تظل قائمة. وهذا في رأي "بل"، هو تاريخ الثقافة الإنسانية التي تتمحور في رأيه، حول الدين. إن الإجابات الوجودية الجوهرية يتم تجميعها داخل إطار عقيدي يكون ذا معنى ودلالة لدى اتباع هذا الدين أو ذاك، وهم يمارسون طقوساً معينة تزودهم بالالتزام الوجداني، كما يتم تأسيس بناء تنظيمي يجذب الرعايا المؤمنين المشتركين في العقيدة والممارسات الطقوسية، ويحققون استمرارية هذه الشعائر والطقوس من جيل إلى جيل(٣١).

وبقدوم التنوير حدث ما أسماه "بل" بالانتهاك العظيم لحرمة الدين والمقدسات، فظهرت بدائل فكرية عقلانية للإجابات الدينية، وكانت هذه البدائل

تسعى إلى تحرير البشر من الأوهام المصاحبة للأديان التقليدية. وتعد الأيديولوجيات السياسية أو الأديان السياسية، كما يسميها "بل" أحد هذه البدائل. ولكن عبثا تحاول، فقد ثبت كذبها وفسادها. فهي على اختلاف أنماطها وتركيباتها النظرية، وما تنطوى عليه من مسلمات علمية واجتماعية، لم تعجز فحسب أمام التحديات التكنولوجية والحروب ومشكلات الفقر، بل ساهمت إلى حد كبير، في تبرير التسلط والقهر السياسي واللاتسامح والعنف في أنحاء كثيرة من العالم. فالرأسمالية التي استندت إلى أسطورة النمو كانت تضحياتها باهظة وانتهت بإحالة البشر إلى سادة وعبيد. والاشتراكية أيضاً قامت على أسطورة الثورة، ولكنها انتهت بهيمنة بعض البشر على البعض الآخر. والمحصلة أن هذه الأيديولوجيات السياسية، في رأي "بل"، فقدت تأثيراتها على الذاكرة الاجتماعية وتضاءلت فاعلية وظائفها بشكل ملحوظ في العقود الأخيرة من القرن الحالي (٣٢) وفى تقديرى أن هذه المقدمات التي ساقها دانيال بل، والنتائج التي انتهى إليها، تدعو إلى استبعاد هذه الأيديولوجيات السياسية والتي تعد إفرازاً للتنوير، والعودة إلى تراث ما قبل التنوير، أعنى العودة إلى الماضي بحثاً عن الأصول التي يمكنها أن تمنح الإنسان نسقاً فكرياً مغايراً. وفي تقديري أن هذا الاستبعاد، وتلك العودة، كانت التبرير النظري الذي قدمه "بل" لتدعيم صعود الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية.

ب- تفكك حركات مايو ١٩٦٨، والانتقال من السياسي إلى المقدس:

في بداية الستينات من القرن الحالي، اجتاحت حركات الطلاب وانتفاضات الشباب كل المجتمعات الرأسمالية، خاصة فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية. وتكشف أسباب تفجرها عن طبيعة وعمق الأزمة البنيوية التي شهدها النظام الرأسمالي منذ أواخر الستينات، والتي استمرت حتى اليوم

وإلى سنوات عديدة لاحقة (٣٣). وقد جاءت هذه الحركات كرد فعل مباشر لتناقضات النظام الرأسمالي وما يمارسه من إكراه وكبح وسيطرة على الأفراد من خلال وسائل الإنتاج، وعدم إتاحته الفرصة أمام جيل الشباب ليشارك في صنع مستقبله (٣٤).

واندلعت مظاهرات الشباب في مايو ١٩٦٨، واحتلوا الجامعات وتلاحموا مع العمال معلنين رفضهم لمجتمعاتهم المانعة من عملية التواصل بين الأفراد من أجل تأسيس مجتمع طبيعي يكون الحوار فيه ممكناً، ففي هذا المجتمع المصطنع يكون كل فرد محصور في عمله وتخصصه، والمنتجين والمستهلكين محض موضوعات خاضعة لآليات اقتصادية عمياء. وهذا المجتمع لا يهتم إلا بالتقدم العلمي وبيروقراطية الدولة والمؤسسات الاحتكارية، وهو ينتج حاجات الإنسان الغريزية مهملاً حاجاته الثقافية والفنية والسياسية والاجتماعية والفلسفية. ولقد أثار هذا النظام، بعقلانيته المفرطة، مشاعر الخوف والتذمر والسخط في صفوف الشباب، فكان رفض النظام برمته وبما ينطوي عليه من أساليب تعليمية، ثم تحول هذا الرفض إلى أعمال قائمة على العنف. حيث ارتأت جموع الشباب أن بناء المجتمع الراهن، والذي يرفضونه، لن يتحطم من خلال الكلام أو المنشورات السرية (٣٥). وفي الولايات المتحدة الأمريكية، تجاوزت مطالب الطلاب القضايا الجامعية إلى القضايا الاجتماعية، فطالبوا برفع أجور العمال الزنوج، وإدخال مناهج خاصة بالعلاقات العنصرية بين البيض والسود، ودعوا إلى نبذ العلاقة بين الجامعة والمركب الصناعي العسكري، وطالبوا الجامعات بإدانة الحرب الفيتنامية (٣٦).

وثمة عاملان مسئولان عن بزوغ حركة الطلاب الأمريكية، فضلاً عن الأزمة العامة للنظام الرأسمالي العالمي. العامل الأول، هو تكوين جماعة شبه طبقة متجانسة ومتصاعدة وهم الطلاب. وذلك أن النمو المطرد في أعدادهم في

الجامعات الأمريكية منذ نهاية الخمسينات وبداية الستينات، وانتقال وظائف التطبيع والتنشئة إلى المدرسة، ووسائل الإعلام، والدخول المتأخر إلى سوق العمل والبناء الاجتماعي للشباب من حيث هم شريحة استهلاكية، كل هذه العوامل خلقت جماعة تضم بين جناحيها قطاعاً كبيراً ومهما من البرجوازية الصغيرة، تعي ذاتها وتدخل مباشرة في صراع مع الرؤية الكونية للأجيال السابقة. والأمل الثاني، هو أن هذه الجماعة، شبه الطبقة، والتي تتسم بنقاء الضمير أصبحت تواجه بشكل متصاعد عدداً من العقبات والتهديدات اضطرتها إلى الصدام مع النظام الاجتماعي. فثمة مقاومة من قبل هذا النظام الاجتماعي المحكوم بالأخلاق البروتستانتية وبقيم التضحية والعمل، هو مجتمع يهتم بالإنتاج أكثر من اهتمامه بالخدمات، وهناك أيضاً التجنيد الإجباري بسبب حرب فيتنام، هذا فضلا عن تفاقم المشكلات المواكبة لازدياد حدة أزمة النظام الرأسمالي كالبطالة والتضخم والجريمة والمخدرات (٣٧).

وبفضل هذه العقبات، السالف ذكرها، توحدت شبه الطبقة هذه في دفاع عقلاني يستند إلى نقد شامل للمجتمع الأمريكي. وشيدت أيديولوجيا خاصة بها وأفرزت حركتين اجتماعيتين تعبران عما يتسم ويتميز به تمرد البرجوازية الصغيرة. فمن جهة لدينا رفض للمجتمع الصناعي الذي خلق كل هذه المشكلات، ودفاع عن العودة إلى ما قبل المجتمع الصناعي بأشكاله الاجتماعية ورؤيته الكونية. وكانت حركة الهيبز hippies movement بشعورهم الطويلة ومظهرهم المتدنى، هي التجسيد لهذا الرفض. وقد اكتفى الهيبز بنقد الملامح السطحية للمجتمع الأمريكي دون أن يقدموا أي بديل، كما أنهم كانوا يرفضون العمل وانغمسوا في تعاطى المخدرات، ومن ثم فإن وعيهم السياسي لم يرق إلى مستوى الفعل السياسي. ولذلك لم يكن الهيبز سوى متمردين في قاع المجتمع الرأسمالي. ومن جهة أخرى، وعلى النقيض تماماً، كان لدينا نقد

سياسي للمجتمع الأمريكي، وهو نقد متأثر بالماركسية وبالجماعات المنبوذة على نحو ما جاء في أطروحات اليسار الجديد فقد كان حركة نفي للعالم القائم بسلبه مشروعية الوجود والاستمرار، وفي الوقت ذاته قوة بناء ترفض العالم من أجل تغيره إلى الأفضل استناداً إلى تصور فكري محدد يسعى اليسار الجديد لتجاوزه وتحويله إلى واقع ملموس (٣٨).

ومن المعروف أن هربرت ماركوز H.MARCUSE من أبرز منظري اليسار الجديد. وقد سعى إلى تحليل بناء المجتمع الرأسمالي والكشف عن تناقضاته الداخلية. وفي رأيه أن المجتمع الرأسمالي صار مجتمعاً تكنولوجيا حيث يقوم فيه جهاز الإنتاج بدور شمولي. فهو لا يكتف بتحديد الوظائف والمهارات المطلوبة، بل يتجاوز ذلك إلى تحديد حاجات الفرد وتطلعاته. يتساوى في ذلك كل من المجتمع الرأسمالي والمجتمع الاشتراكي، لأنهما في نهاية المطاف لن يكونا سوى مجتمعات تكنولوجية شمولية. وهذا المجتمع التكنولوجي من شأنه أن يخلق الإنسان ذو البعد الواحد ONE DIMENSIONAL MAN أي الإنسان التكنولوجي الأحادي الذي يحيا بلا حرية. ففي الوقت الذي تقدم فيه المجتمع من الناحية التكنولوجية، فإن هذا التقدم لم يستطع أن يضمن للإنسان حريته واستقلاله، لأن النظام القائم يفرض عليه بعداً واحداً في التفكير والسلوك ويغرسه فيه من خلال تسلط وسائل الإعلام التي تغرق الفرد بطوفان من المعلومات والفرضيات المغلوطة التي تهدف إلى تجميد الوضع الراهن على ما هو عليه دون أن تترك للفرد حرية التفكير في الجانب المعاكس أو الرأي المضاد (٣٩).

وارتأى ماركوز أن الحضارة التي خلقها المجتمع التكنولوجي، حضارة قاهرة لكل الإمكانات الإنسانية، فإذا كانت الحضارة تحتاج في تقدمها إلى فرض قدرا من الكبت، إن جاز لنا أن نستخدم مفاهيم التحليل النفسي الفرويدي، فإن

الإنسان في الحضارة التكنولوجية صار يعاني من الكبت الفائض، حيث أصبح الإنسان أكثر خضوعاً، وأصبحت آليات المجتمع لإخضاعه أكثر خداعاً ومراوغة. وقد أكمل هذا المجتمع عملية الإخضاع والقهر بالاتجاه إلى فرضهما خارج الحدود، أي في أطراف النظام الرأسمالي أو المجتمعات المحيطة والتابعة(٤٠). ويترتب على ذلك أن يكون البديل المطروح لتغيير هذا الوجود ذي البعد الواحد، هو التفكير السلبي الذي يرفض الاشتراك في اللعبة المفروضة بواسطة الصفوة الحاكمة ووسائل الإعلام. ولذا كان من الطبيعي أن يدعو ماركوز الأفراد إلى رفض هذا المجتمع الصناعي ذي البعد الواحد بزعم شمولية التكنولوجيا وتناقضها مع سعادتهم وقهرها لإمكاناتهم وإبداعاهم وذلك إذا ما أرادوا مزيداً من الحرية واستقلال التفكير.

وفي تقديري، أن هذه أيضا، دعوة للعودة إلى ما قبل المجتمع الصناعي بأشكاله الاجتماعية ورؤيته الكونية. وشاهد على ذلك، أنه مع تأزم حركة الطلاب والضعف التدريجي الذي أصابها في السبعينات، وتفكك تنظيماتها، انفجرت في أوساط الطلاب، وعلى وجه الخصوص، في المدن الكبيرة، تنظيمات دينية، وشاعت بينهم القيم المقدسة، وانتشرت الجمعيات والاتحادات الدينية التي تنتمي إلى الكنائس الأصولية. كما انتشرت الأبحاث التي تدور حول البحث عن القوى المختبئة في الواقع أو في أعماق الذات البشرية. وشاهد على ذلك إحياء ما يسمي بعلوم السحر والتنجيم والمعرفة الإشراقية والصوفية والترويج لإمكانية التحكم في هذه القوى غير المنظورة والخفية ومحاولة استخدامها في تحقيق غاياتنا (٤١).

يعني هذا، أن حركة الطلاب، والتي بدأت علمانية تمارس النقد السياسي والاجتماعي للمجتمع الرأسمالي، أصبحت مجالاً لإنتاج ما هو ديني ومقدس، والذي سعى بدوره إلى القضاء على البعد العلماني للحركة. وهذه مفارقة، نجد

تأويلاً لها في شيوع دعاوى عدم جدوى الالتزام السياسي، وإحساس الشباب بالخداع والعجز أمام الآلية الجبارة والطاغية للنظام الرأسمالي المتقدم، فضلاً عن العوامل الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بأزمة هذا النظام.

جـ- الريجانية وموت الحلم الأمريكي:

في نوفمبر عام ١٩٨٠م، كان المجتمع الأمريكي يبدو غارقاً في حالة من الإحباط واليأس. فقد كانت حقبة السبعينات كلها تقريباً عبارة عن سلسلة من الهزائم المتواصلة التي لحقت بالمجتمع الأمريكي. بأت بهزيمة سياسية، بل وعسكرية أيضاً في فيتنام انتهت بهزيمة سياسية وعجز عسكري أيضاً في إيران. شهدت نفس الفترة أيضاً تراجعاً في المكانة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية.

فمما لا شك فيه أنها كانت القوة الاقتصادية والتكنولوجية والمالية الأولى في العالم المعاصر، ولكن هذه القوة بدأت منذ مطلع السبعينات الدخول في طور التآكل. فالولايات المتحدة الأمريكية لم تعد منذ ذلك التاريخ قادرة على مواجهة المنافسة الاقتصادية والتجارية والتكنولوجية التي تمتلكها القوى الاقتصادية الصاعدة لليابان، ومجموعة السوق الأوربية المشتركة التي انتقل إليهم مركز الثقل والريادة مع انحدار القوة الاقتصادية الأمريكية وتدهور مكانتها وأهميتها النسبية في الاقتصاد العالمي (٤٢).

وتشير الإحصاءات إلى هبوط حصة الولايات الأمريكية في الإنتاج الصناعي في العالم الرأسمالي إلى ٤٠,٥ في عام ١٩٧١، مقابل ٥٥% في بداية الخمسينات. وكانت حصتها في صادرات العالم الرأسمالي قد انخفضت أيضاً إلى ١٤,٢% في بداية السبعينات، في حين أنها كانت ٣٣% في بداية الخمسينات. كما هبطت احتياطيات الذهب لديها من ٧٤% من إجمالي هذه

الاحتياجات إلى حوالي ٢٥% منها. وكان قرار الرئيس الأمريكي نيكسون NIXON بفك الارتباط بين الدولار وسعر الذهب في أغسطس ١٩٧١، حيث عدلت الولايات المتحدة الأمريكية عن تحويل الدولار إلى ذهب، ومن ثم انخفض الدولار للأول مرة، وأعقبه تخفيض آخر في فبراير ١٩٧٣. وقد تم ذلك بالطبع لصالح القطبين الآخرين: أوروبا واليابان(٤٣).

ويكشف انحدار القوة الاقتصادية الأمريكية وتدهور مكانة الأمريكان على صعيد الاقتصاد الرأسمالي العالمي، عن جانب من الأزمة البنيوية العميقة التي شهدها النظام الرأسمالي العالمي منذ أواخر الستينات والتي استمرت حتى اليوم. ويتضح لنا ذلك من متابعة التغيرات المرضية التي لحقت ببنية وأسلوب أداء الاقتصاد الأمريكي. ونذكر من هذه التغيرات تلازم التضخم والبطالة المطردة الارتفاع. فمنذ عام ١٩٧٧، أخذت الأسعار في الارتفاع بتأثير الضغوط التي فرضتها حرب فيتنام على الاقتصاد الأمريكي، وتخفيض قيمة الدولار، ثم كانت فورة النفط ١٩٧٣-١٩٧٤، مما أدي إلى تصاعد الأسعار بشكل أكثر حدة. ففي السنوات الأولى من حكم "نيكسون" زادت الأسعار بمعدل ٢٠%، وبلغت معدلات التضخم في الولايات المتحدة الأمريكية ١٠% في عام ١٩٧٤، في حين كان المتوسط بالنسبة للعالم الرأسمالي ككل ٨,١٠%. أما البطالة، فقد أخذت في ازدياد مطرد. إذ تشير الإحصاءات إلى أن النسبة المئوية للبطالة من مجموع السكان القادرين على العمل في الولايات المتحدة الأمريكية كانت ٣,٥% في عام ١٩٦٩، وفي عام ١٩٧١ أصبحت ٥,٩%، ووصلت إلى ٩,٣% من مجموع السكان في عام ١٩٨١. وهي معدلات مرتفعة لدي مقارنتها بالدول الرأسمالية المتقدمة الأخرى، ففي عام ١٩٨١ كانت نسبة البطالة إلى مجموع السكان القادرين على العمل في اليابان ٢,١% وفي ألمانيا الغربية ٤,٥% وفي المملكة المتحدة ٧,٨% (٤٤).

وبتلازم هاتين الظاهرتين، التضخم والبطالة المطردة الارتفاع، إلى جانب العجز في موازين المدفوعات وتقلص حجم التجارة الدولية، تباطأت معدلات نمو الاقتصاد الأمريكي، فقد كان معدل النمو الاقتصادي الأمريكي في الفترة ١٩٩٠-١٩٧٤ هو ٣,٦% وفي عام ١٩٧٥ هبط معدل النمو إلى ٢,٥%(٤٥).

ولقد أدي تراكم هذه الهزائم السياسية والعسكرية والاقتصادية، وما واكبها وتمخض عنها من مشكلات اجتماعية ونفسية، كتفكك روابط الأسرة الأمريكية إذ لم تعد بعد أسرة صحيحة البنية، فالطلاق بنسبة ١: ٢، والأطفال اللقطاء بنسبة ١: ٥، وقد أثبت إحصاء عام ١٩٧٨، في الولايات المتحدة الأمريكية، أن الأطفال اللقطاء أكثر عدداً من الأطفال الشرعيين في مدينة نيويورك، أيضاً تفكك علاقات الجوار وغيرها من العلاقات الإنسانية، وتزايدت معدلات العنف وارتفعت معدلات الجريمة وإدمان الخمر، وانتشار المخدرات، وارتفاع معدلات الانتحار، والعزوف عن الإنجاب، والتخلص من الوالدين بوضعهما في ملاجئ العجزة، والتملل الخلقي والاندفاع المحموم نحو ممارسة الجنس خارج الأطر الاجتماعية أو الأخلاقية أو الطبيعية وشيوع الجنس في وسائل الإعلام   لقد أدي كل ذلك إلى إصابة المجتمع الأمريكي بحالة من التفسخ والاكتئاب الجماعي انعكست بدورها على أداء هذا المجتمع في شتي الميادين (٤٦).

وفي هذا السياق كان المجتمع الأمريكي في حاجة إلى نخبة سياسية تهزه هزاً وتعيد إليه ثقته في نفسه. وتقدمت أكثر قوى اليمين تطرفاً من المحافظين الجدد والمحافظين الدينيين والتي عرفت باليمين الأمريكي الجديد، وطرحت نفسها باعتبارها أكثر القوى تأهيلاً لإنقاذ المجتمع الأمريكي من حالة الركود والتفسخ التي وصل إليها. يقول ريتشار فيجرى R. VIGUREI

(٤٧) مؤلف كتاب "اليمين الجديد مستعد للقيادة": كما جاء في الكتاب المقـــدس، يوجد وقت لكل شيء تحت السماء، وقت لكي نولد، ووقت لكي نموت، وقـــت للهدم، ووقت للبناء، ووقت لنصمت، ووقت لكي نتكلم، وقت للحـــرب، ووقـــت للسلام. وأعتقد أن هذا الوقت هو المناسب لكي نقود هذه الأمة (٤٨).

وعمدت قوى اليمين الأمريكي الجديد إلى اختيار العزف على مشــــاعر الوطنية الأمريكية فأطلقت مجموعة من الشعارات ذات الرنين العـــــالي التـــي تدغدغ غريزة المواطن الأمريكي المهزوم نفسياً والتي تمنح اختياراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية صورة براقة، وتضفي عليـــها مســـحة مـــن القداسة بتغليفها بنظرة مسيحية أصولية. وبالنظر إلى أن فكرة "الأمة الرســـالة" هي فكرة عميقة الجذور في المجتمع الأمريكـــي، فقـــد كـــان يكفـــي إعادتـــها واستنفارها لاستثارة الخيال الجمعي للشعب الأمريكي، خصوصاً إذا ما أمكـــن صياغتها من جديد من صورة أيديولوجية تعبوية تروج للنموذج الأمريكي الذي يعد من وجهة نظرها أرقى ما وصلت إليه النظم السياسية المعاصرة، ومن ثـــم فهو نموذج عالمي، ويكفي الاقتداء به لحل كافة مشاكل البشر، خصوصـــاً وأن العناية الإلهية هي التي اختارت الأرض الأمريكية مكانا لهذا النموذج. ووفقـــا لهذا النموذج تصبح الحكومة الأمريكية مكلفة برسالة إلهية، ليس فقط للتبشـــير بالنموذج الأمريكي، وإنما أيضاً لفرضه على دول العـــالم إن اقتضـــى الأمـــر وعمدت هذه الأيديولوجية، كما سيتضح لنا، إلى بعث قيم الماضي والأســـلاف، واستندت في رؤيتها وتشخيصها للمشكلات الراهنة، إلى تفســـيرات وتـــأويلات لغوية جديدة لآيات من العهد القديم والإنجيل.

وانطلاقاً من هذه الأيديولوجية، شن اليمين الجديد حملته الانتخابية عـــام ١٩٨٢، مؤكدا أن التقهقر في مكانة الولايات المتحدة الأمريكية، وقتها، مـــردود إلى التخلي عن القيم الأساسية إلى مكنت المجتمع الأمريكي من صياغة نموذجه

الداخلي، والتقصير في حمل رسالته الإلهية إلى الخارج. وعثر اليمين الجديد في شخصية ريجان R.REAGAN على بطله ومخلصه المنتظر. فلم يكن ريجان مجرد ممثل حقيقي وصادق لهذا التيار، ولكنه كان يمتلك أيضاً من عناصر الجاذبية الشخصية ما جعله قادراً على التأثير بفاعلية في الأغلبية الصامتة SILENT MAJORITY ، التي شكلت القواعد الاجتماعية لليمين الجديد، وهم أولئك المواطنون الأخلاقيون، على حد تعبير جيرى فلول J.FLOWELL، الذين عليهم أن يعملوا ويتحدوا لكي يكون صوتهم مسموعاً، وهو يحددهم على النحو التالي:

- المواطنون الجادون في عملهم والذين أنهكتهم الضرائب العالية وزيادة التضخم.
  صغار رجال الأعمال الذين تغضبهم الإجراءات الحكومية.
- المسيحيون من أتباع الميلاد الثاني والذين يزعجهم شيوع أفلام الجنس في وسائل الأعلام.
- المؤيدون لحق الحياة والرافضون لإباحة الإجهاض والذين يقفون ضد التمويل والدعم المالي والحكومي لعمليات الإجهاض.
- المواطنون الذين يشتعلون حماسة دفاعاً عن أمريكا والذين يرفضون منحي الاسترضاء والضعف في السياسة الخارجية للولايات المتحدة. ويذهب فلول J.FOLUEWELL إلى أن هؤلاء المواطنين هم العمود الفقري لأمريكا القوية، وهم المدافعون عن الأسر الصحيحة والأخلاق والحياة، وعن أمريكا التي تأسست على الإيمان بالله والعمل الجاد، وهم يعملون من أجل أن تعود أمريكا دولة عظمي (٤٩).

وبأصوات هؤلاء، وبأغلبية كبيرة، اقتحم اليمين الجديد بقيادة ريجان البيت الأبيض في الخامس من نوفمبر ١٩٨٠، ليبقى فيه على مدي ثمانية أعوام

متتالية، حاول خلالها إحياء الحلم الأمريكي الذي ينهض على أساس تصور معين للرأسمالية يدور حول الالتقاء بين الارتفاع غير المحدود لمستوي المعيشة، وأكبر حرية فردية، وهذا الالتقاء رهن بوهم المساواة في الفرص المتاحة. ولكن، في تقديري، أن السياسات التي انتهجها "ريجان" بدلاً من أن تبعث الحياة في الحلم الأمريكي، أردته قتيلاً. وسأحاول فيما يلي بيان ذلك:

في الحقيقة، كان صعود اليمين الجديد بقيادة "ريجان" على الصعيد السياسي والاقتصادي، تعبيراً عن مصالح القوى المالية الجديدة ذات الطابع شبه الريعي، أي المقاولون الطفيليون والمضاربون على العقارات خاصة في فلوريدا وكاليفورنيا، وأيضاً رجال البترول المناهضين للاحتكارات النفطية الكبرى في الشرق الأوسط والخليج العربي، ورجال السياحة والفندقة، كما كان تعبيراً، وبدرجة كبيرة عن مصالح النخبة الصناعية العسكرية داخل المجمع الصناعي العسكري الأمريكي، والذي يشكل أكثر من ٦٠% من القدرات الاقتصادية الأمريكية (٥٠)، وهي النخبة التي تتعايش على الإنفاق العسكري لجهاز الدولة، وتتكون من العسكريين المحترفين الرسميين، ووزارة الدفاع الأمريكية، ومديري ومالكي الشركات الكبرى العاملة في ميدان الإنتاج الصناعي - العسكري، والوكلاء الذين يروجون الأسلحة ويعقدون الصفقات المربحة بين الدول والمصانع، ورجال السلطتين التنفيذية والتشريعية المرتبطين بتلك الشركات (٥١).

وتبنى ريجان مصالح هذه القوى، بانتهاج سياسة وصفت بأنها شديدة التطرف على الصعيدين الخارجي والداخلي. فعلى الصعيد الخارجي، انطلقت الإدارة الأمريكية في سباق جديد نحو التسلح، وتوسعت في الإنفاق العسكري إلى أقصى حد يمكن أن تسمح به الموارد الأمريكية، وسعت إلى توفير استثمارات هائلة في مشروعات عسكرية عملاقة، مشكوك في جدواها علمياً

مثل مشروع حرب النجوم، وممارسة سياسة متصاعدة للاستفزاز الأمني للاتحاد السوفيتي السابق، والقيام بدور الشرطي العالمي الجديد لإخماد حركات التحرر الوطني والاجتماعي في العالم الثالث، بعد اتهام هذه الحركات بإدمان الإرهاب الدولي الذي تموله وتدعمه إمبراطورية الشر السوفيتية السابقة وارتكز هذا التحرك للإدارة الأمريكية، على افتراض أن إجبار الاتحاد السوفيتي على الدخول إلى حلبة سباق التسلح سوف يؤدي إلى تقليص الموارد المخصصة لتحسين مستوى الشعب السوفيتي، وتلك المخصصة للحفاظ على السيطرة السوفيتية على دول الكتلة الشرقية، ومد النفوذ السوفيتي إلى دول العالم الثالث. وإذا استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تصمد فترة طويلة نسبياً على هذا الطريق، فسوف يتراجع الاتحاد السوفيتي في الخارج، ويتزايد الضغط الواقع على النظام السوفيتي من داخله بما يهدده بالانفجار والانحلال النهائي، وهو ما يمكن أن يفتح الطريق أمام تعميم وشمولية الهيمنة الأمريكية. إن التطورات اللاحقة والتي خبرها النظام العالمي في نهاية الثمانينيات قد جاءت متفقة ومحققة لكل تلك المشاهد أو السيناريوهات التي كانت محتملة وممكنة فحسب عند مطلع الثمانينيات من هذا القرن.

أيضاً تحركت الولايات المتحدة خارجياً، من خلال سياسة نشيطة هدفت إلى تقديم أكبر قدر ممكن من الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي للنظم والقوى المناهضة للشيوعية في الداخل، والاتحاد السوفيتي في الخارج. واتسع ميدان عملياتها ليشمل العالم كله من أفغانستان وكمبوديا في آسيا، إلى أنجولا في أفريقيا، إلى نيكاراجوا والسلفادور في أمريكا اللاتينية. ووجد ريجان في التدخل السوفيتي في أفغانستان كما كانت فيتنام بالنسبة لأمريكا: مصدراً مستمراً للاستنزاف البشري والمادي (٥٢).

وعلى الصعيد الداخلي، تحركت الإدارة الأمريكية بقيادة "ريجان" في اتجاه العودة إلى الرأسمالية النقية بكل قوانينها الذهبية التقليدية. ففي رأي المحافظين الجدد، أن الليبراليين عمدوا إلى تهجين الرأسمالية بسلالات فكرية فاسدة وملحدة مما أدي إلى إسقاط بعض قوانينها أو تجميدها عن الحركة الطليقة أو تشويه بعضها الآخر. وهذا في رأيهم هو السر الأكبر لتقهقر وتردى أمريكا العظمي، وهبوط مكانتها الاقتصادية. وهو أيضاً أحد مظاهر غضب الله على أمريكا. ولذا سعت الريجانية إلى تحرير السوق من كل ما تصورت أنه يمثل عائقاً أما انطلاق قوى العمل والإنتاج. فسعت إلى خفض سعر الفائدة، وتقليص حجم الجهاز البيروقراطي، كما اتجهت إلى خفض النفقات الحكومية، باستثناء التسليح، إلى أدني حد ممكن خاصة ما يتعلق منها بالبرامج الاجتماعية كالدعم المالي والمعونة الغذائية والخدمات الموجهة لأكثر الطبقات حرماناً داخل المجتمع الأمريكي. أيضاً انخفضت تعويضات البطالة، وتدهورت الخدمات الصحية والتعليمية لغيرِ القادرين (٥٣). وظهرت جماعات هائلة من الذين لا مأوي لهم، من السود في أغلب الأحيان، كما قامت إدارة ريجان بخفض الضرائب وتجميدها عند أدني حد ممكن دعماً للأغنياء بوصفهم الأحفاد الحقيقيين للأسلاف العظام الذين أسسوا أمريكا. وترتب على هذه السياسات حدوث خلل كبير في توزيع الدخل في المجتمع الأمريكي، حيث تراجع الدخل الحقيقي لأربعين مليون أمريكي الأكثر فقراً بنسبة ١٠% منذ عام ١٩٨٠، وفي الوقت الذي كان فيه الـ ٢٠% الأكثر غنى في أعلى سلم الدخول يزدادون ثراء الأمر الذي أدي إلى تفاقم حدة اللامساواة في توزيع الدخول خاصة في المناطق الحضرية داخل المجتمع الأمريكي(٥٤).

لقد كان طحن المجتمع الأمريكي، وتفاقم أزماته، هو المحصلة لكل السياسات الخارجية والداخلية للريجانية وما تمثله من مصالح. فالسياسة

الاقتصادية الريجانية كانت تتعايش على آلة الحرب والإنفاق العسكري بفعل تسعير سباق التسلح الذي أطلقه ريجان إلى الحد الذي جعل قوى السلام في العالم تصفه بأنه "إله حرب متهور" ذلك أن سياساته كانت تهدف إلى زيادة الطلب الاقتصادي الفعال في صناعة السلاح، وبالنظر إلى أن القطاع العسكري يكاد يكن القوة القاطرة للصناعة والتكنولوجيا والبحث العلمي و العمالة، فهو بالتالي أداة لإنعاش الاقتصاد بصورة دائمة عندما تلوح معالم الأزمة. وبالطبع فإن القوة المحركة للقاطرة نفسها إنما تتمثل في الإنفاق العسكري للدولة، حيث تغدق على الاحتكارات العسكرية والمدنية عقوداً عسكرية بمبالغ طائلة تساعد على وقف الركود الاقتصادي وبدء موجة من الإنعاش. وكانت القاعدة التقليدية أن الإنفاق العسكري للدولة يمول عن طريق الضريبة، ولكن الضرائب، وكما ذكرت قبلاً، قد خفضت إلى أدني حد ممكن كمنحة من "ريجان" للأغنياء، وبالتالي فمن الطبيعي أن يتم تمويل الإنفاق العسكري بزيادة الإنفاق العام للتسليح ويتم ذلك، في جانب منه، عن طريق الاقتطاع من الإنفاق الاجتماعي، والاقتراض الدولي لدعم مشتريات السلاح الأمريكي. وقد لجأت الدولة إلى العجز في الميزانية حتى بلغ العجز في ميزانية الدولة ٢٠٠ دولار في عام ١٩٨٦. وتشير الإحصاءات إلى تضاعف حجم الدين العام الأمريكي من ٣٠٠ مليار دولار سنة ١٩٦٧ إلى أكثر من ألف مليار دولار عام ١٩٨٢، ثم إلى ألفي مليار دولار في عام ١٩٨٦. وبلغ الدين الخارجي في عام ١٩٨٧ مبلغ ٥٠٠ مليار دولار بحيث أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المكانة الأولى في سلم المديونية العالمية (٥٥).

ومع قرب نهاية الألفية الثانية، بدا أن الولايات المتحدة الأمريكية تدخل أزمة كان قدومها يؤجل باستمرار، ولكن هذه المرة كانت الأزمة تضرب المجتمع الأمريكي بشدة معلنة بداية النهاية للحلم الأمريكي. فأمريكا تنوء تحت

جبل من الديون، وتعاني من خلل كبير في توزيع الدخـــل وزيـــادة التلـــوث، وتدهور الخدمات الصحية والتعليمية لغير القادرين، ومعدلات البطالة آخذة فـــي التصاعد، والنمو الاقتصادي يتسم بالبطء والركود والتضخم الجامح، مع صعود الأنشطة الاقتصادية ذات الطبيعة الطفيلية، فضلاً عن تضخم مشكلة المخــدرات وارتفاع معدلات الجريمة (٥٦).

وقد شكلت الأزمـــة بأبعادهـــا الاقتصاديـــة والاجتماعيـــة والسياســـية والأيديولوجية والنفسية مناخاً صالحاً لانتعاش دعاوى العودة إلى الأصول وإلى المقدس مرة أخرى بحثاً عن مخرج من الأزمة الضاربة في أعماق المجتمـــع الأمريكي.

رابعاً: اليمين الجديد والغالبية الأخلاقية، الأصولية المسيحية في الحكم:
تحقيق لنبوءة وتجسيد الوهم:

في أعقاب الحرب العالمية الأولى ازدهرت الأصولية المسيحية كحركة دينية محافظة داخل الكنائس البروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت تهتم بشكل أساسي بالمعتقدات المسيحية الشعبية التقليدية، كما كانت تتسم بجهودها العدوانية الساعية لفرض معتقداتها على الكنائس الأخرى، والمدارس العامة ومدارس الطوائف الدينية داخل المجتمع الأمريكي. وكانت هموم الحركة الأصولية المسيحية الأمريكية، في ذلك الوقت، تتركز في ترسيخ الإيمان بعدد من المبادئ، كالقول بعصمة الكتاب المقدس وما ورد فيه من معتقدات، والولادة البتولية الأولى للمسيح، وآلام المسيح وموته تكفيراً عن خطايا البشر، وقيامة المسيح الثانية، والاعتقاد الواثق والجازم بمعجزة الإنجيل (٥٧).

وفي مبدئها، وقفت الحركة بشكل مباشر في مواجهة العناصر اللاهوتية الليبرالية داخل الكنائس الأمريكية، كما كانت على الضد من التأثيرات العلمية والعلمانية في الحضارة الأمريكية، وكان ذلك الموقف مردودا إلى أن أفكار اللاهوتيين الليبراليين تشكك في قصة الخلق الإلهي الواردة في سفر التكوين، بسبب ما أحرزته علوم الجيولوجيا والبيولوجيا من تقدم، كما كانت تنظر إلى خطيئة الإنسان كما وردت في سفر التكوين على أنها محض تفكير بدائي وساذج، إذ ليس ثمة، في رأيها، وجود لما يسمي آدم وحواء وارتأت الحركة الأصولية المسيحية، أن قبول هذه الأفكار يعني بطلان سفر التكوين وبالتالي، فإذا كان سفر واحد باطل، فالأسفار الأخرى، جميعها، تكون باطلة. وتأسيساً على ذلك اعتبرت قصة الخلق الإلهي الواردة في الكتاب المقدس ونظرية التطور المعارضة لها، المسألة الرئيسية في الخلاف والجدل الأصولي المسيحي الأمريكي، والتي استمرت حتى العقود الأخيرة من القرن الحالي. وسعت

الحركة إلى ممارسة نوع من الضبط العقيدي على المؤسسات التعليمية لإجبارها على الالتزام بالدوجما DOGMA الأصولية، كما سعت أيضاً لإصدار تشريع حكومي يحظر ويمنع تدريس أي كتاب ينطوي على أية نظرية تنكر قصة الخلق الإلهي للإنسان والكون أو تحاول أن تروج للنظرية الداروينية القائلة بانحدار الإنسان من سلسلة طويلة في النظام الحيواني(٥٨).

ولقد توافق بزوغ وصعود الأصولية المسيحية مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة التي شهدها المجتمع الأمريكي في مطلع القرن الحالي، وما ارتبط بهذه التحولات من صراع بين الثقافة والقيم الحضرية المتأثرة بالعلم الحديث والحضارة الصناعية من جانب، والثقافة والقيم الريفية التقليدية المنحدرة من مجتمع الرواد الأوائل بتقاليده المحافظة على الجانب الآخر. ففي المناطق الحضرية في أمريكا لم تحقق الأصولية سوى قدراً ضئيلاً من الوجود والنفوذ فقد كان التحديث وما ارتبط به من عقلانية وعلمانية وعلم حديث يؤكد على قدرة الإنسان واتساع نطاق سيطرة البشر على عالمهم المحيط بهم. وذلك على الضد من الأصولية التي كانت، لا تزال، تشكك في قدرة البشر على مواجهة مشكلاتهم، ومن ثم يجب التعويل على القدرة الإلهية. لذلك سادت الأصولية وانتشرت في المجتمعات المنعزلة والتي كان فيها لتقاليد مجتمع الرواد الفاعلية والتأثير، وهي أيضاً ذات المجتمعات التي كانت أقل عرضة لتأثير العلم الحديث والحضارة الصناعية. وفي العشرينات والثلاثينيات من القرن الحالي. تطورت الأصولية المسيحية الأمريكية، وأصبح من أهم سماتها التسليم بأن ثمة حلول دينية أصولية قادرة على إحراز انتصار دولي، وعلى حل كافة المشكلات الاجتماعية، وأن أي فشل يلحق بأي حل أصولي مردود إلى مؤامرات الأشرار، وإن شئنا الدقة، مردود إلى مؤامرات الشيوعيين كما اتسمت الحركة أيضاً برفض أي تأويل جديد للنصوص الدينية (٥٩).

وفي مجال السياسة، عبرت الأصولية الدينية عن نفسها فيما عرف باليمين الراديكالي، والذي تجسد في ثلاثة حركات سياسية شهدها المجتمع الأمريكي على مدي الخمسين سنة الماضية. وأول هذه الحركات، الكلفينية، نسبة إلى القس تشارلز كلفن وقد نشأت في الثلاثينات كاستجابة للأزمة الاقتصادية، والتوتر الدولي بسبب بزوغ الفاشية، والحروب الأهلية الأسبانية، والحرب العالمية الثانية، وكانت الحركة ضد الرأسمالية الكبيرة المتمثلة في البنوك، وضد النفوذ اليهودي في مجال السياسة، ومع الجنرال فرا نكو في مطاردته للشيوعيين (٦٠) والمكارثية MCCARTHYISM ، هي الحركة الثانية، وتنسب إلى السناتور مكارثى. وقد نشأت في الخمسينات كاستجابة مضادة لقوى الشيوعية ولما أسماه مكارثى المؤامرة الشيوعية داخل أمريكا والتي أدت إلى ضياع الصين. وقد وجه مكارثى نقداً عنيفاً لسياسة أيزنهاور في عامي ١٩٥٣م-١٩٥٤م بدعوى أنها تنطوي على سذاجة في تجاهل تأثير الشيوعيين في المؤسسات الحكومية الأمريكية. ولكنه، أي مكارثى، لم يوجه أي نقد لا لليهود ولا للأقليات الأثنية.

أما الحركة الثالثة، فكانت جمعية جون برش وقد نشأت في الستينات في مراكز الأصوليين في هوستن، وبوسطن، ولوس أنجلوس، وكانت غايتها مكافحة الشيوعية، والذي يجمع بين هذه الحركات هو أنها كانت حركات وطنية متطرفة، ومعارضة لليبرالية، ومناهضة للمبادئ الأساسية للمجتمع الديمقراطي، فضلاً عن عدائها للشيوعية. وقد تأسست بالإضافة إلى هذه الحركات، دوائر بحث عديدة تعادي الشيوعية بقيادة القساوسة الإنجيليين، وتنشد كشف أسرار المادية الجدلية. وكان شعارها استحالة السلام مع السوفيت. وقد بالغ اليمين الراديكالي في عدائه للشيوعية إلى حد الادعاء بأن الشيوعية تهدد أمريكا ليس

من الخارج فقط، بل من الداخل أيضاً. حيث اتهمت قيادات الحزب الديمقراطي الأمريكي بأنهم أعضاء ضالعين في مؤامرة شيوعية (٦١).

وفي أواخر الستينات، ومطلع السبعينات، نشأ في الولايات المتحدة الأمريكية تنظيم جديد يؤلف بين الأصولية الدينية، واليمين الراديكالي السياسي. وكان هذا التنظيم هو اليمين الجديد . THE NEW RIGHT وكان ظهوره تعبيراً عن صعود جيل من المحافظين الأمريكيين الجدد -NEW CONSERVATIVES والذين سيصبحون القوة الفاعلة والأكثر أهمية على المسرح السياسي الأمريكي في الربع الأخير من القرن العشرين. وثمة تيارات ثلاثة شكلت في مجموعها ما عرف باليمين الجديد أو الحركة المحافظة الجديدة NEW-CONSERVATIVE MOVEMENTS في المجتمع الأمريكي.

أول هذه التيارات، هم الليبراليون الكلاسيكيون مؤيدو مبادئ حرية الفكر والعمل والدعوة للعودة إلى الرأسمالية النقية. فهم يقاومون تهديد الحكومة للحرية وللمشروع الحر، وحرية الأفراد. والتيار الثاني، هم المحافظون الدينيون الجدد أو الأصوليون المسيحيون السياسيون الذين يلحون على ضرورة العودة إلى الأصول الدينية والتقاليد والمعايير الأخلاقية للأسلاف. وتجسد هذا التيار في حركة الغالبية الأخلاقية THE MORAL MAJORITY بقيادة القس جيري فلول J.FALWELL وقد تكونت هذه الحركة لتقوم بوظيفة سياسية خالصة، هي جمع القوى المحافظة الأمريكية وتكتيلها في جبهة للتأثير على السياسة الأمريكية، أي أنها لوبي سياسي POLITICAL LOBBY وفي نفس الوقت، فإن الحركة قامت على أسس دينية واضحة كما سيتضح لنا، وهي بذلك، تعد مجازاً، نموذجاً فريداً للحزب الديني دون أن تكون لها صفة شرعية كحزب PARTY برغم أنها تمارس عملها كمؤسسة سياسية. أما التيار الثالث، فهو يضم أولئك الذين يدعون إلى تعبئة الغرب الرأسمالي برمته

ليخوض حرباً ونضالاً ضد الشيوعية (٥٦). ونعرض فيما يلي لحركة الغالبية الأخلاقية باعتبارها أقوى أجنحة المحافظين الجدد، أو بالأدق اليمين الجديد داخل المجتمع الأمريكي.

تأسست حركة الغالبية الأخلاقية بقيادة القس جيرى فلول في عام ١٩٧٩م كتنظيم للمسيحيين المحافظين. وبصفة خاصة الأصوليين البروتستانت الذين أصبحوا بالفعل مسيسين POLITICIZED ومنغمسين في القضايا السياسية. بزعم أنها قضايا أخلاقية. وقد أعلن فلول وقتها أن الغاية من تأسيس الحركة، هي غاية قومية، وهي العمل من أجل أن تعود أمريكا دولة عظمى تقود العالم بأسره مرة ثانية. وذلك بتأسيس شبكة دفاع قوية، وتدعيم دولة إسرائيل (٦٣). ولذلك سنرى أن هذه الحركة سعت إلى تسعير سباق التسلح بدعوة أمريكا إلى التفوق العسكري، كما عملت على إنشاء تحالف قوى مع الأصولية اليهودية ودولة إسرائيل، كما سنرى أنها قدمت بهذا الخصوص نسقاً إيمانياً ينهض على أسس أصولية، ويقوم بتفسيرات لفظية وحرفية للكتاب المقدس وما ينطوي عليه من نبوءات توراتية وإنجيلية، كما اعتمدت الحركة على حشد جيش من الوعاظ والدعاة الدينيين المحافظين، واستخدمت شبكة قوية من التنظيمات الدينية والمؤسسات الإعلامية لترويج وترسيخ معتقداتها وتصوراتها واختياراتها داخل المجتمع الأمريكي طوال عقد الثمانينات وحتى يومنا هذا.

ارتأى منظرو حركة الغالبية الأخلاقية، أن ما يعانيه المجتمع الأمريكي منذ الستينات من القرن الحالي من اضطرابات حضرية، وعنف في الشوارع، وصراع أثني، وخسارة الحرب في فيتنام، والاستخدام غير المشروع للمخدرات، وشبح التضخم، وفساد مناخ الأعمال، والهجوم على الأسرة، وشيوع الجنس في وسائل الإعلام، والضعف العسكري للولايات المتحدة

الأمريكية أمام قوة وعدوانية العسكرية السوفيتية، إن كل هذه المشكلات تفاقمت لغضب الله على أمريكا. الأمريكيون ابتعدوا عن الله وجحدوا عطاياه لهم، وانحازوا إلى الملحدين والقيادات المتداعية التي دفعت الأمة الأمريكية إلى حافة الموت في حين أن أمريكا، من وجهة نظرهم، قد قامت على أساس الإيمان بالله والعمل الجاد وشعارها نحن نعتقد في الله IN GOD WE TRUST على عملتها، يعكس هذا الإيمان. يقول القس جيرى فلول J. FALWELL مخاطبا الأمريكيين أفراداً وأمة إن علينا التوجه إلى الله لنسأله الغفران لخطايانا، ونصلى له لكي يحمى أمريكا من أعدائها، ويمنحنا القوة والإرادة لنصون أنفسنا ووطننا. لقد آن الوقت الذي يتكاتف فيه الأمريكيون الأخلاقيون صفاً واحداً، ويبذلون جهدهم للكشف عن مشاعرهم وتعرية الأقلية الملحدة، المكونة من أفراد خونة، أتيح لهم صياغة السياسة الأمريكية، ولقد جاء الوقت الذي تدرك فيه الأقلية أنها لم تعد بعد تمثل الغالبية من الأمريكيين، والتي أصبحت من القوة بحيث لن تسمح لهم ثانية بأن يدمروا أمتهم بما يحملونه ممن فلسفات الحادية ليبرالية(٦٤).

وانطلاقاً من هذا التشخيص الذي قدمته الحركة لواقع المجتمع الأمريكي، نجد أنها حددت لنفسها مهمة مقدسة هي تأسيس جمهورية محافظة وذلك بالدعوة للعودة للقيم التقليدية، وبعث الالتزام الديني. يقول ريتشارد فيجرى أحد رواد الأصولية المسيحية في أمريكا، ف رسالته إلى ريجان وقت أن كان رئيسا للولايات الأمريكية، إن أمريكا في حاجة إلى بعث الالتزام الديني، وأنا أحثك على استثمار مهاراتك العظيمة لحث البشر ودفعهم إلى البحث عن حلول لمشاكلنا الشخصية والقومية عند الله، وتقضى تلك المهمة المقدسة تطهير وطن الأجداد من أعداء التفوق الأمريكي المطلق في العالم، والذين أصبحوا أسرى الليبرالية والإلحاد والعلمانية والجماعات الضالة

المناهضة لحروب أمريكا ضد الأشرار في كل مكان، والذين يهابون ويرتعبون من الحروب النووية مع الاتحاد السوفيتي، إمبراطورية الشر والإلحاد، وغيره من الأشرار الآخرين في العالم (٦٥).

وعمد منظرو دعوة التفوق العسكري وحروب الإبادة ضد الشيوعية وقوى الشر الأخرى، إلى صياغة أيديولوجيتهم في إطار مسيحي أصولي يستند إلى نصوص توراتية وإنجيلية رمزية، يقومون بتأويلها على هواهم لتكتسب هذه الأيديولوجية مسحة من القداسة في عيون ووجدان الأمريكيين البسطاء بغرض تعبئتهم فكرياً وسياسياً لإقرار القبول العام للاختيارات الاقتصادية والسياسية والإجماعية والعسكرية لليمين الجديد بقيادة رونالد ريجان. وهي الاختيارات، التي ذكرت قبلاً أنها تعبر بالأساس عن مصالح النخبة العسكرية الصناعية داخل المجمع الصناعي العسكري الأمريكي والتي تتعايش على الإنفاق العسكري لجهاز الدولة وتسعير سباق التسلح.

وتعد نظرية أرامجدون ARMAGEDDON التي قدمها قادة التيار الأصولي المسيحي السياسي الأمريكي مثالاً صارخاً لتأويل النبوءات التوراتية والإنجيلية في اتجاه يخدم المجمع الصناعي العسكري الذي يسعى لاستمرار عجلة مصانعه من أجل مزيد من المال والسيطرة.

بداية، تقرر هذه النظرية أن الله أخبرنا سلفاً في الكتاب المقدس بكل التطورات الحادثة في العالم اليوم وبكل الزمن الآتي. فثمة حتمية وقصدية إلهية تحكم تاريخ العالم. وإذا كان الله قد أخفى مخططه وتدبيره عن ملايين البشر، إلا أنه الآن يكشف عن هذا المخطط لقادة الأصولية المسيحية الأمريكية، المؤمنين أمثال جيرى فلول، وجيمى سوجارات، وبات روبرتسون وكينين كوبلاند، وريكس همبرد وغيرهم من القساوسة المبشرين الإنجيليين. تقرر النبوءة أن إرادة الله اقتضت قيام دولة إسرائيل الكبرى في الأرض الموعودة

من الله لشعبه المختار، وأن الله يساعد إسرائيل ويعادي من يعاديها، وأن قيام إسرائيل يؤكد توافر الشرط الذي طال انتظاره من أجل قيام الساعة والعودة الثانية للمسيح، فعندما تقوم إسرائيل الكبرى وتتوسع، فإن أعدائها من الأشرار المسلمين والبوذبيين والعلمانيين والشيوعيين وغيرهم سوف يهاجمونها، مما يؤدي إلى قيام حروب نووية تنتهي بكارثة ودمار نهائي لعالمنا. إن تاريخ العالم يتجه إلى نهايته بفعل الحتمية التي وضعها الرب في كتابة وأعلنها للمؤمنين في النبوءات. وعلى المسيحيين الأخيار المخلصين أن يرحبوا بهذه النهاية الكارثة، أو الحرب النووية، لأنه ما إن تبدأ المعركة النهائية فإن المسيح سوف يرفعهم إلى السحاب، وينقذهم ولن يواجهوا شيئاً من المعاناة التي تجرى تحتهم على الأرض. فليذهب العالم بأسره إلى الجحيم لأن المسيح مخلصنا سوف يحقق للقلة المؤمنة المختارة سماءً وأرضاً جديدتين وفي نهاية المحنة سيعود هؤلاء المسيحيون المولودون من جديد مع المسيح، كقائد عسكري لهم، ليخوض معهم أرمجدون لتدمير أعداء الله، ثم ليحكما الأرض بقيادة المسيح ألف سنة لإقامة حكم الله وتحقيق السلام العالمي (٦٦). ولأجل تحقيق النبوة يعد الدفاع عن إسرائيل عملاً دينياً بالدرجة الأولى لأنه يتعلق بثوابت إيمانية وإرادة في نبوءات الكتاب المقدس، وليس مجرد موقف سياسي يتأثر بالأحداث المتغيرة، فإسرائيل تمثل لهم تجلياً إلهياً وتجسيماً لنعمة إلهية في الطريق من أجل خلاص البشر.

وبما أن الله هو السيد المطلق القوة، الكلى الجبروت، فإن ما يقرره يجب أن يكون، فإرادته نافذة، وليس ثمة رجل أو امرأة يكون في وسعهما الحيلولة دون تحقيق إرادة الرب. وترى النبوءة أن السيد المسيح حين يعود إلى الأرض مع أشياعه سينزل فوق القدس وهي المدينة التي ستكون مقراً له ومركزاً لقيادته. ومن ثم فكل التاريخ الآتي في المستقبل يرتبط بأمة إسرائيل، ولذلك

يجب دعمها وتمكينها من السيطرة على القدس. وإعادة بنــــاء الـــهيكل مكـــان المسجد الأقصى لأن ذلك شرطاً ضرورياً لعودة المسيح. ويلـــزم مـــن تـــأويل النبوءات على هذا النحو أن تأييد ودعم إسرائيل ليس اختياراً أمريكيـــاً يحكـــم مصالحها واستراتيجياتها الكونية، وإنما هو قضاء إلهي وأيضاً يكون الوقـــوف ضد إسرائيل وقوفاً ضد الله وإرادته مما يستدعي غضب الله ونقمته. أيضاً يلزم من تأويل النبوءات أن نزع السلاح ومحادثات السلام والحد من التسليح تتناقض مع مشيئة الله. في حين أن بناء القوى العسكرية للولايات المتحـــدة الأمريكيـــة ولحلفائها، لأجل إطلاق الحمم المدمرة على الشياطين أعداء الله وأعداء شـــعبه، يعد تحقيقاً للنبوءة وانسجاماً مع إرادة الله السامية حتى يعود المسيح مرة ثانيـــة ويحكم الأرض (٦٧).

ولترويج هذا النسق العقيدي، عمدت الحركة إلى استخدام القدرات التقنية في وسائل الإعلام، والبريد المباشر للاتصال بالأمريكيين، وحثهم على تســـجيل أنفسهم لأجل التصويت في الانتخابات العامة والانخراط في العمل السياســـي. فهناك الآلاف من القساوسة الإنجيليين المحافظين المنتشـــرين فـــي الإذاعـــات المحلية والقومية، وفي شبكات التليفزيون والصحف اليومية والأسبوعية، بل إن الحركة عملت على إنشاء محطات إذاعية وشبكات تليفزيونية خاصة بها ومـــن خلال الثقافة المقدسة التي يقدمها هؤلاء القساوسة أمكن إقحام القضايا الأساسـية التي تناضل الحركة من أجلها، أيضاً سعت الحركة إلى تشكيل تكتلات محافظـة داخل الحزبين الجمهوري والديموقراطي للعمل على تصعيد النواب المحـافظين وخلق أغلبية محافظة في كل من الحزبين(٦٨).

والظاهرة الجديرة بالتسجيل، هي ظهور ما عرف بالكنيسة التليفزيونيـــة أو الكنيسة الإليكترونية ونجومها من زعماء الأصولية المسيحية السياسية، بـــات روبرتسون، وجيرى فلول، وجيمى سواجارت. فقد أنشأت الحركة عـــدداً مـــن

محطات التليفزيون الجديدة القوية وبدلاً من أن ينتقل الأمريكيون إلى الكنيسة لممارسة الشعائر الدينية، تنتقل الكنيسة كلية إليهم في بيوتهم. فالقس بات روبرتسون، وهو نجم من نجوم الكنيسة التليفزيونية وصاحب نادي السبعمائة الذي يستقطب وحده ١٩% من الأمريكيين بما يقدر بحوالي ١٦ مليون أسرة أمريكية، وهو يقدم برنامجه لمدة تسعين دقيقة عبر شبكته التليفزيونية المسيحية، كما يمتد نشاط الكنيسة إلى خارج الولايات المتحدة الأمريكية حيث يمتلك روبرتسون نفسه أيضاً محطة تليفزيونية في جنوب لبنان فضلاً عن محطة راديو، ومراسلين في أكثر من ستين دولة. وفي مطلع ١٩٦٨م بدأت شبكة التليفزيون المسيحية برنامجاً إخبارياً لمدة نصف ساعة يومياً، وتقدم أخبارها من وجهة نظر مسيحية أصولية تصل إلى ٢٧,٣ مليون مشاهد أمريكي يشتركون في محطة البث. أما القس جيرى فلول وهو واحد من أبرز مجموعة المبشرين الإنجيليين وأكثرهم ولاء لإسرائيل فهو يمتلك أيضاً محطة بث تليفزيونية تبث برامج دينية من ولاية فرجينيا تعمل على مدي أربعة وعشرين ساعة ويبشرون بنظرية أرامجدون في الإذاعة والتليفزيون الأمريكيين عبر ١٤٠٠ محطة دينية في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن بين ٨٠٠٠٠ قس إنجيلى يذيعون يومياً من خلال ٤٠٠ محطة راديو، فإن الأكثرية الساحقة منهم من المؤمنين بهذه النظرية. وهم يجعلون تأييد إسرائيل نوعاً من العبادة ويشيعون أن خوض معركة أرامجدون أمر ضروري لعودة المسيح إلى القدس وإقامة مملكة الله على الأرض (٦٩).

ولذلك وفي أثناء الزيارة الأخيرة التي قام بها رئيس الحكومة الإسرائيلية نيتانياهو إلى واشنطن في يناير من عام ١٩٩٨ حرص قبل لقائه مع الرئيس الأمريكي كلينتون على الاجتماع بالمئات من المسيحيين الأصوليين الإنجيليين وعلى رأسهم جيرى فالويل والذي اختلى بنيتانياهو لمدة نصف ساعة بعد ذلك

الحشد المسيحي الأصولي. وفي هذا الاجتماع سأل فلويل: إلى أي مدي تستطيع إسرائيل أن تتخلى عن المزيد من الأرض لفلسطينيين من دون أن تعرض أمنها للخطر؟ ردّ نيتانياهو: الواقع أننا لا نستطيع أن نتخلى إلا عن القليل جداً. وكان تعليق فولويل: ولا بوصة واحدة.

وما أن خرج نيتانياهو من لقائه مع جيرى فولويل حتى أعطى الأخير الضوء الأخضر لهذا الجيش الإعلامي – الديني للتحرك عبر شبكة الكنائس ومحطات الإذاعة والتليفزيون وسلسلة المطبوعات اليومية والأسبوعية التي تتولى إصدارها. وانطلقت الحملة من مقولة ثابتة من مقولات هذه الحركات الدينية، وهي أن القوانين الدولية الوضعية لا يجب على الإطلاق تطبيقها على دولة إسرائيل لأنها تختلف عن كل الكيانات السياسية الأخرى في العالم من حيث أن وجودها يعتبر تجسيداً للإرادة الإلهية وللوعود الواردة في الكتاب المقدس لشعب الله المختار. وعليه فإن حكومة نيتانياهو لها أن تتحلل ليس فقط من القرارات المتعددة والمتتالية للأمم المتحدة وإنما هي في حلٍّ أيضاً من أي اتفاق عقدته الحكومات الإسرائيلية السابقة إذا ما تبين أن هذا الاتفاق يتناقض مع مصالح الشعب المختار أو مع الوعود الإلهية مثل اتفاق أوسلو.

ولقد تحدث المبشرون والقساوسة الإنجيليون إلى مستمعيهم ومشاهديهم في القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية من منظور ديني أصولي، وحثوا مستمعيهم ومشاهديهم على تسجيل أنفسهم للانتخابات العامة والانغماس في السياسة، لأنه بالتصويت في الانتخابات سوف يتمكن الأصوليون من إدارة هذا الوطن بل والعالم على حد تعبيرهم. وذكروا لمستمعيهم ومشاهديهم أن فصل الكنيسة عن الدولة لا يعني مطلقاً فصل الله أو عزلة عن الحكومة. والأمل الوحيد من وجهة نظرهم هو يقظة البشر المتدينين في أمريكا، وقيادة رجال الله للأمة الأمريكية هي أفضل قيادة ممكنة وتستطيع أن تمنح الأمل وإحراز النصر

في الانتخابات العامة. وفي عام ١٩٨٠م، وبفضل الغالبية الأخلاقية على تسجيل مليونين ونصف مليون ناخب لانتخابات ١٩٨٠م، وبفضل الغالبيـــة الأخلاقيـــة والجماعات المسيحية الأصولية الأخرى داخل المجتمع الأمريكي تفوق ريجـــان على كارتر بنسبة ٥٦% إلى ٣٤% عام ١٩٨٠ (٧٠)، لقد منـــح الأصوليـــون المسيحيون دعمهم وتأييديهم لرونالد ريجان باعتباره بطلهم السياسي المنتظـــر، وهو بدوره، منحهم آمالاً مستقبلية بتجسيد أحلامـــهم وتحقيـــق نبوءاتـــهم فـــي السيطرة والحكم (٧١).

الخاتمة:

جاء هذا البحث ليدل على ما ذهبنا إليه في المقدمة من أننا نشهد منذ مطلع السبعينات حتى اللحظة الراهنة، انبعاثاً دينياً للأديان جميعها داخل المجتمعات المعاصرة، وإن تفاوت أسبابه ومظاهره وأبعاده ومضامينه ونتائجه، تبعاً لاختلاف درجة تطور المجتمعات الإنسانية وتباين أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية، ووفقاً لتشكل الدين ذاته داخل كل مجتمع على حده، فالظاهرة التي نحن بصددها ... تتصف بالعمومية والخصوصية معاً.

جاء هذا البحث أيضاً كخطوة أولى لدحض الزعم القائل بتفرد دين دون آخر فيما يتعلق بادعاء أصحاب دين معين بصلاحية هذا الدين فحسب دون غيره لتنظيم شئون المجتمع الإنساني وضبط حياة البشر اعتماداً على ما جاء في النصوص المقدسة، وما خلفه الأسلاف من قيم وممارسات.

كان النموذج الذي عرضنا له عبر هذا البحث هو نموذج الأصولية المسيحية السياسية في المجتمع الأمريكي. فمنذ مطلع الربع الأخير من القرن الحالي شهد هذا المجتمع ظواهر عدة على مستوى السلوك الاجتماعي الفردي والسياسات الحكومية، شكلت في مجملها مؤشرات على تصاعد المد الأصولي المسيحي. وثمة عوامل متعددة تضافرت معاً لتشكيل السياق البنائي والفكري لبزوغ الحركة الأصولية المسيحية السياسية داخل المجتمع الأمريكي، لعل أهمها الأزمة المجتمعية الحادة التي أخذت تضرب المجتمع الأمريكي بشدة منذ بداية السبعينيات، وما استتبع ذلك من تقدم قوى اليمين الأمريكي الجديد بمشروعها المزعوم لقيادة الأمة الأمريكية وإحياء الحلم الأمريكي.

تأسس هذا المشروع على تسعير سباق التسلح وتشغيل آلة الحرب الأمريكية كقاطرة للاقتصاد الأمريكي بغرض انتشاله من حالة الركود والتضخم، وعمدت هذه القوى إلى إضفاء مسحة من القداسة على اختياراتها

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية وذلك بتغليفها بنظرة مسيحية أصولية حتى تجد القبول، وتعبئ الشعب الأمريكي خلف هذه الاختيارات.

وعلى المستوى الفكري عبرت الأصولية المسيحية عن نفسها برفضها للتراث الإنساني العقلاني الذي تمخض عن عصر التنوير، ونادبت بالعودة إلى ما قبل التنوير بحثاً عن الأصول، وعن نسق مغاير للأيديولوجيات العلمانية.

على مستوى الممارسة كان اليمين الأمريكي الجديد وحركة الغالبية الأخلاقية أقوى التيارات الفاعلة في الحركة الأصولية المسيحية في المجتمع الأمريكي، فقد استطاعت أن تكتل القوى المحافظة الأمريكية في جبهة مؤثرة وضاغطة لصياغة السياسة الأمريكية على نحو يحقق مصالح بعينها.

وفي عام ١٩٨٠م تجسد حلم الأصوليين في حكم أمريكا حينما منحوا ريجان R. REAGAN دعمهم وتأييدهم لدورتين رئاسيتين متتاليتين، في حين منحهم ريجان الأمل في إمكانية تأسيس جمهورية محافظة تحقق نبوآتهم التي استحضروها من الماضي السحيق ليسقطوها على الحاضر وليصيغوا المستقبل على منوالها.

الهوامش والمصادر

1- D. Bell, The Return to the Sacred. The Argument on the future of religion? In: D. Bell, The Winding Passage, Essays and Sociological. Jaurneys 1960-1980, Abt Books, Cambridge, Massachusetts, 1980, pp. 326-352, pp. 326-327.

٢- راجع من بين البحوث:

- روبرتو شيرانانو، ومارياما تشيونى، وانريكويوتسى ؛ السياسة والدين في حركات الطلاب حالة إيطاليا، في: مراد وهبة (المحرر)، الشباب والمثقفون والتغير الاجتماعي، أبحاث المؤتمر الثالث للمجموعة الأوروبية العربية للبحوث الاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٩٩-١٠٧.

- مصطفى نور الدين عطية، النحل الدينية في الغرب والسياسة، في: محمود أمين العالم (المحرر)، الإسلام السياسي - الأسس الفكرية والأهداف العملية، ص ٣٠٦-٣١٥.

- غريس هالسل، النبوءة والسياسة - الإنجليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية، ترجمة: محمد السماك، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا، الطبعة الثانية، ١٩٨٠.

- جيل كيبل، يوم الله. الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، ليمسول. قبرص، الطبعة العربية الأولى، ١٩٩٢.

- رفيق حبيب، المسيحية والحرب: قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامي، يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة، ١٩٩١.

٣- أنظر:

- Ali E. Hillal Dessouki, The Islamic Resurgence: Sources, Dynamics and I mplicatons, in: Ali E. Hellal Dessouki(ed), I slamic Resurgence in The Arab World.

- سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني، ندوة الدين في المجتمع العربي، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، القاهرة، ٤-٧ أبريل ١٩٨٠.

(٤) بسام طيبى: الثقافة العربية المعاصرة في مفترق الطرق، شئون عربية، العدد ١٥، مايو ١٩٨٢، ص ٧٤-٦١.

(٥) سلامة موسى: ما هي النهضة؟ مكتبة المعارف، بيرون، ١٩٦٢، ص ٥-١١.

(٦) راجع:

- مراد وهبة: الأصولية والعلمانية في الشرق الأوسط المعاصر، المنـــار، السنة الخامسة، العدد ٤٩، يناير، ١٩٨٩، ص ٨٤-٩٧.
- جيل كيبل: يوم الله. حركات الأصولية المعاصرةُ في الديانات الثـــلاث، مصدر سابق، ص ١١٨-١١٩.

(٧) راجع:

- مراد وهبة: الأصولية والعلمانية، مصدر سابق، ص ٨٤-٨٥.
- جيل كيبل: يوم الله، مصدر سابق، ص ١١٩.

(٨) راجع:

- Henry Munson, The Social Base of Islamic Mlitancy in Moracq, the Meddle East Journal, Vol. 40, No. 2, Spring, 1986. Pp. 267-284. P. 269.

- وراجع أيضاً: المقدمة التي كتبها القس جيرى فلـــول Jerry Folwell زعيم حركة الأغلبيـــة الأخلاقيـــة، أقـــوى أجنحـــة المحافظين الأمريكيين الجدد في الولايـــات المتحـــدة الأمريكية:

Richard A. Vigurie, The New Right: We're Ready to Lead, The Vigurie Company, Printed in The U.S.A, 1981.

(٩) رفيق حبيب: الاحتجاج الديني في مصـــر، يافـــا للدراســـات والأبحـــاث، القاهرة، ص ٢٠-٢١.

(١٠) راجع:

- عبد الله العمر: ظاهرة العلم الحديث: دراسة تحليلية وتاريخيـــة، عـــالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويــت، العدد ٦٩، ١٩٨٣، ص ٣٩-٤٠، ص ٨٥-٨٦.
- سمير نعيم أحمد: المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، مكتبـــة ســعيد رأفت، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢٤-٣٧.
- حسين على: مفهوم الاحتمال في فلسفة العلم المعاصر، مكتبـــة الحريــة الحديثة، جامعة عين شمس، القـــاهرة، ١٩٨٩، ص ٤٩-٦٢:

(١١) راجع:

- مراد وهبة: إشكالية العلمانية في الغرب، المنـــار، العــدد ٣١، يوليــو ١٩٨٧، ص ٨٨-٩٩.
- Bassam Tibi, Islam and Secularization, in: Mourd Wahba (ed), Islam and Civilization, Cario, Ain Shams Unisersity, 1982. Pp. 65-79.
- D. Bell, The Return to the Sacred?, Op. Cit., pp. 331-332.

(١٢) راجع:

- نازلى إسماعيل حسن: النقد في عصر التنويـــر. كنــت، دار النهضـــة العربية، القاهرة، الطبعة الثانيـــة، ١٩٧٦، ص١٢-١٤.

- مراد وهبة: إشكالية التنوير والثقافة، في: مراد وهبة ومنـى أبـو سـنة (تحرير)، ندوة التنوير والثقافة، معهد جوته، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١-٨.

- ديفيد مارتن: التنوير. الحوار والصراع مع الإشارة إلى الدين، المصـدر السابق، ص ٣٢-٤٠، ص ٣٩.

(١٣) مصطفى نور الدين عطية: النحل الدينية في الغرب والسياسة، مصـدر سابق، ص ٣١٢-٣١٣.

(١٤) مصطفى نور الدين: التحلل الدينية في الغرب والسياسة، مصدر سـابق، ص ٣١٢-٣١٣. وانظر أيضاً:

- محمد عبد الباقي الهرماسي: علم الاجتماع الديني، ندوة الدين في المجتمـع العربي، ص ١٢-١٤.

(١٥) قبل اندلاع حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ وخلال الحرب، وفي غمـار تعبئة الرأي العام الأمريكي على وجه الخصوص والرأى العام العالمي بالإطلاق للعمليات العسكرية ضد العـراق أوردت شبكة C.N.N الإخبارية الأمريكية ما يلي:

- الرئيس الأمريكي بوش يصلى لأجل السلام. قبل بدء الحرب.
- بوش يتصل بأحد القيادات الدينية بعد انتهاء المهلة التي حددهـا مجلـس الأمن.

- أحد الزعماء الدينيين يقيم في البيت الأبيض ليلة الحرب.
- بوش يشترك في الإعداد ليوم الصلاة من أجل الأزمة.
- بوش يدعو الأمريكيين للصلاة للمحافظة على أرواح الجنود الأمريكيين.

- بوش يؤكد أنه تعلم أن رئيس أمريكا يجب أن يكوم ملتزماً دينياً ويعـرف الله.

أنظر: رفيق حبيب، المسيحية والحـرب: قصـة الأصوليـة الصهيونيـة الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامي، مصدر سابق، ص ٥٩.

(16) Richard. A. Vigurie, The New Right. We are ready to lead, pp. 126-135.

راجع أيضاً:

- ميران مشيدلوف، الدين في عالم اليوم، ترجمة: جمال السيد، دار العـالم الجديد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص ٢٧-٢٨.

(١٧) جاء في المصادر التالية مؤشرات إحصائية مقارنة تشير وعلـى نحـو نسبي إلى ازدياد درجة التعلق بالديانة فـي المجتمعـات الأوروبية والمجتمع الأمريكي خلال العقود الأخيرة مـن القرن الحالي أنظر:

- Dryan Wilan. Cantempararey Transformation of Religion Oxfford University. Press, London, 1976.

- D. Bell, The Return to the Sacred? Op. Cit.

- مصطفى نور الدين: النحل الدينية في الغرب، مصدر سابق، ص ٣٠٦-٣٠٧.

- ميران مسيدلوف: الدين في العالم اليوم، مصدر سابق، ص ٦٣-٦٤.

(18) D. Bell, The Return to the Sacred? Op. Cit p. 320.

- Karal Dofferlaere, Secularization as a Religious Change, Op. Cit., p. 112.

وانظر أيضاً:

- عبد العزيز كامل: العلمانية والدين بين الشمال والجنوب: نماذج من التطبيقات، مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٥٢، مارس ١٩٨٨، ص ١٨-٢٣.
- فهمي هويدى: أصوليون وأمريكيون، جريدة الأهرام المصرية، ٢٤ مايو ١٩٨٩.

(١٩) راجع:

- Richard, A. Vigtrie, The New Right, Op. Cit, pp. 128.
- H. richard, Niebuhs - Fundamentalism, Encyclopedia of Social Sciences, pp. 520-527.

- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصدر سابق، ص ٨٢-٨٣.
- وحيد عبد المجيد: انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربي الإسرائيلي، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٠٠.
- إبراهيم عبد العزيز المهنا: الفكر المحافظ الأمريكي والصراع العربي الإسرائيلي، السياسة الدولية، العدد ٩٥، يناير ١٩٨٩، ص ٣٢-٣٣.

(٢٠) مصطفى نور الدين عطية: النحل الدينية في الغرب، مصدر سابق، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٢١) راجع:

- ميران مشيدلوف، الدين في العالم اليوم / مصدر سابق، ص ٦٨.

- مصطفى نور الدين عطية: النحل الدينية في الغرب، مصدر سابق، ص ٣٠٩-٣١٢.

(٢٢) راجع:

- richard Vigure, The New Right, Op. Cit. Pp. 179-180.

- لطفي الخولي: الستاليون الجدد وعصابة الكاليفورنيين، جريدة الأهرام، ٣ أبريل ١٩٨٩.

- إبراهيم عبد العزيز الهنا: الفكر المحافظ الأمريكي، مصدر سابق، ص ٢٧-٢٩.

(٢٣) راجع:

- Richard, Vigure, The New Right, Op. Cit. Pp. 1-3.

- وحيد عبد المجيد: انتخابات الرئاسة الأمريكية، مصدر سابق، ص ١٢.

(24) D. Bell, The End of Ideology: on the exhoustion of political ideas in the fifties, the free press, New York, 1960.

(25) D. Bell, Ibid., pp. 402-403.

(٢٦) راجع التحليل النقدي الذي قدمه الباحث في أطروحته للماجستير لتيار نهاية وأفول الأيديولوجيا وتنويعاته النظرية كنظرية التقارب، ونظرية مراحل النمو، ومجتمع ما بعد الصناعة. تحت إشراف الدكتور السيد الحسيني.

راجع:

- عبد الله محمد حسنين شلبي: العالم الثالث والاختيار الأيديولوجي، مصر نموذجاً - دراسة تاريخية بنائية ١٩٥٢-١٩٧٠، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٥٥.

(27) D. Bell, The End of Ideology, Op. Cit, p. 16.

راجع أيضاً:

- س.ى نويوف: نقد علم الاجتماع البرجوازي المعاصر، ترجمة: نزار عبون السدو، تقديم طيب تيزيني، دار دمشق للطباعة، دمشق، ١٩٧٣، ص ١٦٩-١٧٩.

(38) D. Bell, The End of Ideology, Op. Cit., p. 406 & p. 417.

راجع أيضاً:

- أحمد أبو زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص ٢١٦.

(29) Lispet, S.M., The End of Ideology and Ideology of Intellectuals, in: Shils E. (hanor). Culture and its Creatures, the University of Chicago press, Chicago, 1977. Pp. 15-17.

(٣٠) المطلق الأصولي: تعبير صاغه مراد وهبة. راجع: مراد وهبه الأصولية والعلمانية في الشرق الأوسط المعار، مصدر سابق.

(31) D. Bell, The Return to the Scored? Op. Cit, pp. 331-334.

(32) D. Bell, Ibid, p. 349.

(٣٣) راجع:

- فؤاد موسى: الرأسمالية تجدد نفسها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، مارس ١٩٩٠، ص ٣٩-٤٠.

(٣٤) بوتومور: علم الاجتماع والنقد الاجتماعي، ترجمة وتعليق: محمد الجوهري وزملائه، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص ٢٢٢-٢٢٥.

(٣٥) منى أبو سنة: مايو ١٩٦٨ طريق إلى الأصولية، المنار، العدد ٣٦ ديسمبر ١٩٨٧، ص ٥٨-٦٣.

راجع أيضاً:

الطليعة: العدد الثامن، والتاسع، أغسطس، سبتمبر ١٩٦٨، حيث قدمت المجلة في هذين العددين ملفاً كاملاً عن ثورة الشباب ١٩٦٨.

(٣٦) راجع:

- داود عزيز: اليسار الجديد: فكر ضائع.. عنف مجرد.. طفولة يسارية، الطليعة، السنة الرابعة، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٨٦، ص ٥٩-٧١.
- أحمد أبو زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، مصدر سابق، ص ٢١٧-٢١٨.

(٣٧) منى أبو سنة: مايو ١٩٦٨ طريق إلى الأصولية، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٣٨) راجع:

- أحمد زايد: علم الاجتماع بني الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، مصدر سابق، ص ٢١٩-٢٢٢.

- روبرتو شيريانو وآخرون: السياسة والدين في حركات الطلاب، مصدر سابق، ص ٩٩-١٠١.

(٣٩) راجع:

- السيد الحسيني: نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥،ص ٢٣٢.

- عادل غنيم وآخرون: منابع الإلهام الفكري والنضالي لحركة الشباب ١٩٦٨ في العالم الرأسمالي، الطليعة، السنة الرابعة، العدد الثامن، أغسطس ١٩٨٦ - حمص ٣٦-٧١، ص ٥٩-٦١.

- هربرت ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثالثة، يناير ١٩٧٣.

(٤٠) راجع:

- سعد الدين إبراهيم: علم الاجتماع الأمريكي بين التواطؤ والثورة، دراسات عربية، يوليو ١٩٧٣، ص ٢٢-٢٣.

- عادل غنيم وآخرون: منابع الإلهام الفكري والنضالي لحركة الشباب ١٩٦٨ في العالم الرأسمالي، مصدر سابق، ص ٦١.

(٤١) راجع:

- عبد الخالق عبد الله: العالم المعاصر والصراعات الدولية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٣٣، يناير ١٩٨٩، ص ٢٥-٢٧.

- حسن نافعة: الاستمرارية والتغير في السياسة الأمريكية بعد انتخاب بوش، جريدة الأهرام، ٢٥ نوفمبر ١٩٨٨.

(٤٣) راجع:

- فؤاد مرسي: المصدر السابق، ص ٢٠٨-٢١٣، ص ٤١١-٤١٦.

(٤٥) راجع:

- فؤاد مرسي: الرأسمالية نفسها، مصدر سابق، ص ٤٠٨-٤١١.

- البنك الدولي للإنشاء والتعمير، تقرير عن التنمية في العالم الثالث ١٩٨٦، جدوال رقم (١،٢)، ص ٢١٤-٢١٧، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الأهرام، القاهرة، يوليو ١٩٨٦.

(٤٦) راجع:

- R. A. Vigurie, the New Right, we are ready to lead, Op. Cit, pp. 1-3.

- مراد وهبة: ريجان والأصولية، مصدر سابق.

(٤٧) واحد من أهم قيادات اليمين الأمريكي الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية ويلقى كتابة ضوءاً نافذاً على فكر ومؤسسات وتنظيمات الحركة المحافظة الجديدة Neo-Conservatine Mavemento في المجتمع الأمريكي وهي الحركة التي صاغت عمل السياسة الأمريكية في عقد الثمانينات من القرن الحالي.

راجع:

- R. A. Vigurie, The New Right. Op. Cit.

(48) R. A. Vigurie, The New Right, Ibid, pp. 179-187.

(٤٩) راجع:

- D. Bell, The Return to the Sacred? Op. Cit. P. 349.

- R. A. Vigurie, The New Right, Introduction by: Jery Falwell.

(٥٠) يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي عشرين ألف شركة رئيسية للصناعات الحربية بالإضافة إلى مائة وخمسين ألف شركة فرعية أخرى تتعامل جميعها مع وزارة الدفاع الأمريكية ودوائرها المختلفة وتزودها بكل متطلباتها بدءاً من أحذية الجنود إلى الصواريخ العابرة للقارات. راجع:

– عبد الخالق عبد الله: العالم المعاصر والصراعات الدولية، مصدر سابق، ص ١٢٩-١٣١.

– إسماعيل صبري مقلد: العلاقات السياسية الدولية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥، ص ٣٨٢.

– حسن عبد ربه: حرب بوش الخاصة، جريدة الأهالي، ٢٧ فبراير ١٩٩١.

(٥١) راجع:

– محمد السيد سليم: أزمة السياسة الخارجية الأمريكية في الثمانينات، السياسة الدولية، العدد ٦٨، أبريل ١٩٨٢، ص ١٦.

– أنس مصطفى كامل: المرحلة الثالثة في التحالف الإسرائيلي الأمريكي، الطليعة، كتاب غير دوري، القاهرة، مايو، ١٩٨٤، ص ٦١-٧٨.

- وحيد عبد المجيد: انتخابات الرئاسة الأمريكية والصراع العربي الإسرائيلي، مصدر سابق، ص ١٢، ص ٩٢-٩٦.

(٥٢) راجع:

- لطفي الخولي: الستاليون الجدد وعصابة الكاليفورنيين، مصدر سابق.

- حسن نافعة: الاستمرارية والتغير في السياسة الأمريكية، مصدر سابق.

- R. A. Veguire The New Right, Op. Cit., pp. 109-122 & pp. 151-161.

(٥٣) راجع:

- إبراهيم عبد العزيز المهنا: الفكر المحافظ الأمريكي، مصدر سابق، ص ٢٨-٢٩.

- حسن نافعة: الاستمرارية والتغير في السياسة الأمريكية، مصدر سابق.

(٥٤) راجع:

- البنك الدولي للإنشاء والتعمير، الفقر. مؤشرات التنمية الدولية، تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٠، ترجمة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، الأهرام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، جدول رقم (١٢)، ص ٢٣٠-٢٣٣.

- لطفي الخولي: الستاليون الجدد وعصابة الكاليفورنيين، مصدر سابق.

- حسن نافعة: الاستمرارية والتغير في السياسة الأمريكية، مصدر سابق.

- R. A. Viguire, The New Right, Op. Cit, pp. 78-79 & pp. 137-150.

(٥٥) فؤاد مرسي: الرأسمالية تجدد نفسها، مصدر سابق ، ص ٤٠٨-٤١٢.

(٥٦) أشارت جريدة الأهرام المصرية نقلاً عن تقارير أعدتها لجنة الشئون القضائية بمجلس الشيوخ الأمريكي أنه في الفترة من عام

١٩٨٠ إلى عام ١٩٩٠ سقط ٢٤٠ ألفاً من الأمريكيين ضحايا لجرائم القتل، في مقابل ٥٨ ألفاً أمريكياً سقطوا في حرب فيتنام عبر أثني عشر عاماً. وفي عام ١٩٩١ وحده سقط أكثر من ٢٤ ألفاً من الأمريكيين قتلى بفعل جرائم القتل في المجتمع الأمريكي. وبزيادة قدرها ٢,٥% وهو معدل زيادة يفوق معدل زيادة السكان في المجتمع الأمريكي. وفي عام ١٩٩٥ بلغ عدد الجرائم التي سجلت في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٩,٥ مليون جريمة على تنوعها وتباينها.وهذه الأرقام التي ذكرتها تشير إلى أن ثمة حرباً غير معلنة داخل المجتمع الأمريكي تصل إلى حد الإبادة.

راجع:

- جريدة الشعب في ١٢ فبراير ١٩٩١. وجريدة الأهرام في ٩ يناير ١٩٩٢، ٧ أغسطس ١٩٩٦.

(٥٧) راجع:

- H. Richard Niebuhn, Fundamentalism, Encyclopedia of the Social Sciences, pp. 526-527.
- Vergilur Ferm (ed), The Encyclopedia of Religion, Popular books, U.S.A. 1987, pp. 291-292.
- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصدر سابق، ص ١١-١٦.

(٥٨) راجع:

- H. R. Niebuhn, Fundamentalism, Op. Cit p. 526.

- Ali E. H. Dessouki, The Islamic Resurgence, Op. Cit, pp. 56.

(٥٩) راجع:

- مراد وهبة: ريجان والأصولية: فلسفة اليمين الأمريكي الجديد، المنـــار، مصدر سابق.

- H. R. Niebuhn, Fundamentalism, Op. Cit, p. 527.

(٦٠) تجدر الإشارة هنا إلى أن بداية تكون وازدهار جماعة الإخوان المسلمين والتي تعد أصلاً للحركات الأصولية الإسلامية المعاصرة في العالم العربي، كان أيضاً في مطلع الثلاثينيات مـــن القرن الحالي، كما أن حزب الكتائب المسيحي اللبنـــاني، وهو أول حزب سياسي مسيحي في العالم العربـــي، قـــد برز إلى الوجود في عام ١٩٣٦.

(٦١) راجع:

- مراد وهبة: ريجان والأصولية، مصدر سابق، ص ٢٦.

- R. A. Vigurie, The New Right, Op. Cit, pp. 42-43.

(٦٢) راجع:

- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصدر سابق، ص ٨٢-٨٣.

(٦٣) راجع:

- يوسف الحسن: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصـــراع العربـــي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربيـــة، بـــيروت، ١٩٩٠.

- R. A. Vigurie, The New Right, Op. Cit, p. 126.

(٦٤) راجع:

- R.·A. Vigurie, The New Right, Op. Cit, pp. 135-136.
- J. Falwell, Introduction, in: R. A. Vivurie, The New Right.

(65) R. A. Vigurie, The New Right, Op. Cit, pp. 189-191. & pp. 109-123.

(٦٦) راجع الكتاب المقدس، العهد الجديد، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، الإصحاح السادس عشر، ص ٤١٣، والعهد القديم، سفر زكريا، الإصحاح الثامن والتاسع، ص ١٣٤٦-١٣٤٩.

(٦٧) راجع:

- غريس هالسل: النبوءة والسياسة، مصدر سابق، ص ١٣-١٤، ص ٢٣-٢٦.
- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصدر سابق، ص ٣-٤.
- إبراهيم عبد العزيز المهنا: الفكر المحافظ الأمريكي، مصدر سابق، ص ٢٥-٣٠.

(٦٨) راجع:

- غريس هالسل: النبوءة والسياسة، مصدر سابق، ص ٤٥-٤٧، ص ٦٩.
- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصدر سابق، ص ١٠٨-١١١، ص ٢٠٣-٢١٦.
- يوسف الحسن: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه العربي - الصهيوني، مصدر سابق.

(69) R. A. Vigurie, The New Right, Op. Cit, pp. 6-79 & pp. 92-94.

راجع أيضاً:

- محمد السماك: توظيف الدين في الدفاع عن إسرائيل، الأهـــرام ٤ فـبراير ١٩٩٨.

- رضا هلال: (كلينتون - مونيكا) جيت.. وما بعد المؤامرة، الأهـــرام، ٥ فبراير ١٩٩٨.

(٧٠) راجع:

- غريس هالسل: النبوءة والسياسة، مصدر سابق، ص ٦٩-٧٠.

- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصدر سابق، ص ١٤١-١٤٥.

- R. A. Vigurie, The New Right, Op. Cit, pp. 123-136.

(٧١) خلال حرب الخليج العربي الثانية في عام ١٩٩١، قدم قـادة الأصوليـة المسيحية الأمريكية مـبررات دينيـة لحتميـة حـوض الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد العراق، وحاولوا إضفاء طابع ديني أصولي على الحرب بتأويلها في سياق النبوءات الواردة في الكتاب المقدس، فسقوط بـابل هـو إحدى مراحل النهاية التي تقربنا من "إمرامجدون" وبـابل هي العراق، وطاغية بابل ليس إلا الرئيس العراقي صدام حسين، ولابد من تدمير بابل أو العـراق لكـي تقـترب النهاية، أي تقترب الجيوش من "إمرامجد ون" في فلسطين لتحارب قوي الشر.

راجع:

- شكري عاذر: الأصولية الصهيونية المسيحية في أمريكا، جريدة الشـعب في ٢٦ فبراير ١٩٩١.

- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصدر سابق، ص ٥٩.

- R. A. Vigurie, The New Right, Op. Cit, p. 8 & pp. 47 & pp. 124-127.

صـــدر عن الدار

الأسعار عرضة للتغيير دون إخطار مسبق

عنوان الكتاب	المؤلف	السعر
١. أبواب الفرج ٠	د. السيد محمد العلوي	١٠,٠٠
٢. أضواء على طريق العودة إلى الإسلام٠	د. أحمد خليل	٥,٠٠
٣. أوربا وتدمير الآخر ٠	توماش ماستناك	٤,٠٠
٤. الإعلام التربوي ٠(نفذ)	د. محي الدين اللاذقاني	٥,٠٠
٥. الإمام البخاري محدثا وفقيهاً ٠	د. الحسيني عبد المجيد	٢٠,٠٠
٦. الالتزام عند الكتاب المصريين ٠	د. سهام هاشم	١٠,٠٠
٧. الانفتاح وتغير القيم ٠	أحمد أنور	٢٠,٠٠
٨. بؤس المصالحة ٠	عبد العال الباقوري	٢٠,٠٠
٩. بونابرت والإسلام بونابرت والدولة اليهودية	ت: بشير السباعي	٧,٠٠
١٠ التحضر الرث والتطور الرث ٠	. شحاته صيام	١٥,٠٠
١١ تأشيرة خروج من الخليج ٠	نجوى فؤاد	٤,٠٠
١٢ تصورات في الدعوة والثقافة الإسلامية ٠	د. عبد الرؤوف شلبي	٢٠,٠٠
١٣ تنظيم المجتمع النظرية والتطبيق ٠	عبد الحليم رضا	١٥,٠٠
١٤ الحريق وعلوم الكيمياء ٠	كمال عبد المقصود	٧,٠٠
١٥ الخطاب النقدي عند المعتزلة ٠	د. كريم الوائلي	١٢,٠٠
١٦ الخطابة وإعداد الخطيب٠	د. عبد الجليل شلبي	٣٠,٠٠
١٧ خطاب الأفندية الاجتماعي ٠	ز . لوكمان	٤,٠٠
١٨ الديمقراطية والدولة في العالم العربي ٠٠٠٠٠	تيمو ثي ميتشل	٨,٠٠
١٩ الشعر الصوفي ٠٠٠٠٠	د. وفيق سليطين	١٠,٠٠
٢٠ العودة إلى المقدس٠٠٠٠٠٠	عبد الله شلبي	٥,٠٠
٢١ صورة العرب في الغرب ٠	د. عزة عزت	٢٠,٠٠
٢٢ المنطق الإشراقي عند شهاب الدين السهروردي	محمود محمد علي	٩,٠٠
٢٣ المواقف النقدية قراءة في نقد القصة القصيرة .	د. كريم الوائلي	١٢,٠٠

٢٤	دفاتر العنف المقدس٠	غويتيسولو	١٠,٠٠
٢٥	عيناك محميتان للنوارس ٠	فاروق خلف	٧,٠٠
٢٦	فن الحديث ٠٠٠٠٠	فاروق خلف	١٠,٠٠
٢٧	فجر الحركة الإسلامية المعاصرة ٠	السيد يوسف	٥,٠٠
٢٨	قراءات نقدية في الفكر العربي المعاصر ودروس في الهرمينيطيقا التاريخية ٠	محمود إسماعيل	١٢,٠٠
٢٩	قف ٠٠٠ تلك فاتحة النوى ٠٠٠٠٠	فوزي صالح	٦,٠٠
٣٠	لحن الصباح ٠٠٠٠٠٠	محمد تاجي	٤,٢٥
٣١	محاولات تهويد الإنسان المصري ٠٠٠٠	د. مدحت أبو بكر	٥,٠٠
٣٢	مختار الصحاح٠٠٠٠٠٠	الرازي	٢٠,٠٠
٣٣	المسلة رواية٠٠٠٠٠٠٠	نبيل سليمان	٨,٠٠
٣٤	معضلة الاقتصاد المصري ٠٠٠٠٠	د. جلال أمين	١٢,٠٠
٣٥	من أوراق التسعينيات٠٠٠٠٠	فاروق عبد القادر	١٥,٠٠
٣٦	من يبيع مصر ؟٠	د. رفيق حبيب	٩,٧٥
٣٧	مواجهة الأزمات٠٠٠٠٠٠	عثمان عثمان	١٢,٠٠

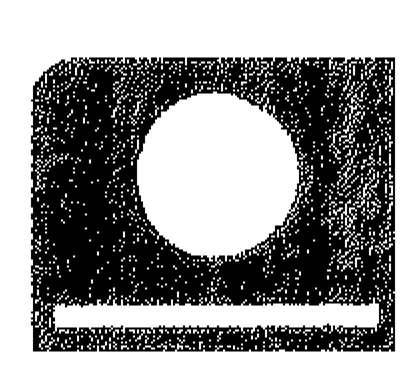
* * *

هذا الكتاب

يخطئ من يظن أن صعود الأصولية الإسلامية بعد حرب ٦٧ هو الظاهرة الوحيدة لصعود الأصوليات الدينية فى العالم ، فالؤلف هنا يرصد صعود الأصولية المسيحية السياسية فى المجتمع الأمريكى بعد عام ١٩٧٠ نتيجه لرفض مبادئ العلمانية وما جرته على المجتمع الأمريكى من تفكك !!! إضافة للعوامل الإقتصادية والسياسية الأخرى ، كان ذروتها تصعيد رونالد ريجان رئيساً للولايات الأمريكية عام ١٩٨٠ ، ليكون ممثلاً لقوى اليمين المحافظ والمسيحية الصهيونية ، التى تؤمن بإسرائيل قوية فى مقابل العرب الهمجيين ، وقد ظل ريجان لثمانية أعوام كاملة يطبق هذه السياسات التى ما زالت خطأً أساسياً فى سياسة الولايات الأمريكية .

الفارق الوحيد بين صعود الأصولية الإسلامية والأصولية المسيحية السياسية أن الثانية عبرت عن نفسها بطريق الإنتخابات فأصبحت هى الدولة ، وهى ليست أى دولة ولكنها أمريكا حيث تكون كلمتها هى ما يسمى بالشرعية الدولية ... سواء كان ذلك عن طريق وزارة الخارجية أو مباشرةً بواسطة الجيوش والصواريخ والطائرات ، أما الأصولية الإسلامية ولأنها تفتقد قوة الجيش الأمريكى ، وزعماؤها ليسوا رؤساء لأم[illegible] مة الإرهاب جاهزة لهم .

التوزيع بدولة الإمارات
ودول الخليج مكتبة الثقافة الجديدة
أبو ظبى ص.ب : ٢٥٧٠
ت: ٢٢٥٣٩٩





١٩ شارع إسلام - حمامات القب
ص.ب. : ٥٧٤٠ هليوبوليس
القاهرة
ت / فاكس : ٢٥٦٢٢٦٨